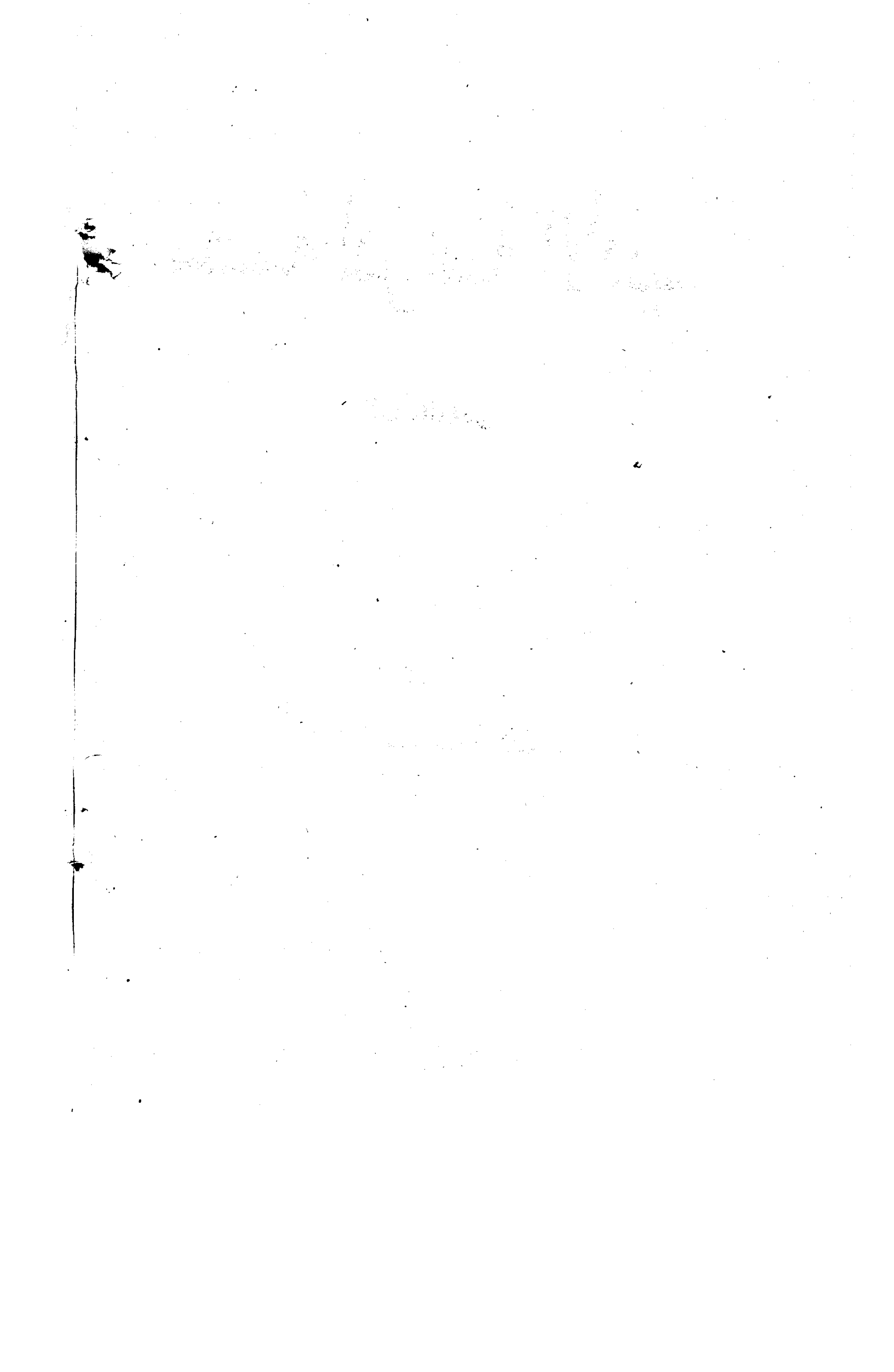
مقدمة لدراسة الأدب

الجزء الثاني

دكتور
عبد الحميد القط



الشفاهية والكتابية

يظن بعض الباحثين أن الأدب العربى نقل شفاهية ، ولم ينتقل مكتوباً وهى قضية يختلف عليها الباحثون ، إذا أن العرب كانوا أميين ، ولكنهم بالتأكيد كانوا يعرفون الكتابة ، وكانوا يستخدمونها لأن فيهم من يكتب ومن يستطيع تدوين ما يريدون . ومن ثم فإن القول بأن كل ما نقل إلينا عن الجاهلية من شعر نقل رواية شفهية قول يحتاج إلى مناقشة .

ويرى الدكتور ناصر الدين الأسد أن العرب عرفوا الكتابة فى العصر الجاهلى ولمدة ثلاثة قرون قبل الإسلام على الأقل وأن معرفتهم لها معرفة مؤكدة ، ويستدل على ذلك بالنقوش الجاهلية .[1]

بل إن "الأسد" يرى أن الكتابة كانت شائعة فى الجاهلية ويدلل على ذلك بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يقومون به من كتابه له وللناس أيضاً فى العقود والمعاملات الأخرى ، كما يشير إلى كتاب الوحى وإلى فداء الأسرى مقابل تعليم المسلمين القراءة والكتابة .[2]

---

[1] ناصر الدين الأسد .مصادر الشعر الجاهلى . ط٦.دارالمعارف .القاهرة ، ١٩٨٢ ص ٤٦ .
[2] أنظر نفسه ص ٥٢ ، ٥٣ .

ولا شك فى أن العرب قد عرفوا القراءة والكتابة ولا نقول إن كلهم كان قارئاً كاتباً بل إننا نقول أنهم كان بينهم من يكتب ومن يقرأ ومن يحرر العقود والمواثيق والمعاملات وغيرها .

ويورد ابن سلام خَبَراً يتضمن تدوين الشعر وعدم تدوينه فى آن واحد : إذا يقول "فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد ، وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وأَلْفَوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل من ذلك وذهب عليهم منه كثير . وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح هو وأهل بيته به ، صار ذلك إلى بنى مروان ، أو صار منْهُ .[1]

وصدر النص ينفى أن يكون العرب قد دونوا شعرهم ، فلم يصل فى هذا الشأن "كتاب" مكتوب ولا شىء مدون ، وفى آخره يذكر أن هناك ديواناً عند النعمان بن المنذر يتضمن شعر الفحول من الشعراء ، وما مدح به النعمان وأهل

[1] ابن سلام . طبقات فحول الشعراء . ج١ . مطبعة المدنى . القاهرة دت ص ٢٥ .

بيته ، وأن هذه الديوان انتقل إلى بنى مروان . وهذا يعنى أن الشعر كان يدون فى العصر الجاهلى ، وهذا شيء محتمل جداً .

ويذكر ابن رشيق أن المعلقات ، كانت مكتوبة بماء الذهب ، وأنها علقت على الكعبة أو فى حافظة الرواة ، ويهمنا هنا أنها كانت مكتوبة ، ولا يلغى ذلك أنها علقت على الكعبة:" وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت فى القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة ؛ فلذلك يقال مذهبة فلان ، إذا كانت أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، وقيل بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول : علقوا لنا هذه ، لتكون فى خزانته[1]. وينكر هذا الرأى الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد [2] ويعتمد على أن تسمية " المعلقات " بهذا الاسم يعتمد على تفسير كلمة التعليق وأنكر بعض الباحثين فكرة التعليق هذه[3] . وهذا لا يعنى عدم فقدان شيء منه وهو أمر يشك فيه . وإن كان هناك من اشتهر بقوة الحافظة إلى درجة غير طبيعية كالمتنبى وأبى العلاء وأبى تمام .

---

[1] ابن رشيق . العمدة . ط٥ . دارالجيل . بيروت لبنان ١٩٨١ ص ٩٦ .

[2] إبراهيم عبدالرحمن محمد . قضايا الشعر فى النقد العربى . ج١ . مكتبة الشباب . القاهرة ، ١٩٧٧ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

[3] انظر ابن الأنبارى . شرح القصائد السبع الطول الجاهليات . تحقيق عبد السلام محمد هارون . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٩ ص ١٢ ، ١٣ .

ولو أن الراوية كان يكتب شعره ، فإن ذلك يؤكد أن الكتابة كانت من أدوات الراوى ، وهى أداة لا غبار عليها .

ويرى الدكتور ناصر الدين الأسد أن شعر الشاعر كان يكتب والنسخة المكتوبة تكون هى النسخة الأم وكان الناس يحفظون شعر الشاعر من هذه النسخة أو نسخ قليلة أخرى ، ويروونه لغيرهم وفى محافلهم عن طريق الراوية الشفهية ، وينقله غيرهم فيذيع ويشيع بالطريقة نفسها [1].

ومن الخطورة بمكان قوله إن الرواة كانوا يكتبون شعر الشاعر ويحفظونه فى آن واحد : "هؤلاء الرواة كانوا يكتبون شعر الشاعر حقاً ويحفظونه فى صحف ودواوين ، ولكنهم مع ذلك يحفظون هذه الشعر فى صدورهم وذاكرتهم ، وينقلونه فى المجالس والمحافل إنشاداً لا قراءة من صحف . وقد كان ذلك كذلك فى جميع العصور [2] .

وهذا يبرر لنا أن ما نسمعه من أن كل شاعر كان له راوية وهذا الراوية يقوم بحفظ شعره أو تدوينه ، أو كلا من الأمرين معا .

---

(1) مصادر الشعر الجاهلى ، سابق ، ص١٩٠ ، ١٩١ .

(2) نفسه ص١٩١ .

ومع ذلك يبقى الأمر محوطاً بالغموض أذ لم تصلنا هذه الدواوين ، ولم يشر مؤرخو الأدب وشراحه إلى أنهم نقلوا ديواناً حديثاً من ديوان شعر قديم جدا من العصر الجاهلى مثلاً فهل فقدت هذه الأصول ؟

ونحن نعلم أن كثيراً من النصوص الشعرية نقلت شفاها وأن علماء اللغة كانوا يتلقونها من حامليها ويدونونها . وأن هذا كان شأن جمع اللغة من البدو أو الأعراب .

ومع ذلك يمكننا القول إن التراث الشعرى اعتمد على الأسلوبين معاً : الرواية والحفظ والتدوين .

عصور الأدب العربى

الأدب العربى هو أطول الآداب عمراً فى العالم كله ، وذلك لأسباب منها أن اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم ، ولغة نبيه الكريم ونعلم أن السنة المطهرة هى ما أثر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير ، وهى أحاديثه الشريفة صلى الله عليه وسلم .

وقد انتقلت اللغة العربية إلى بلاد عدة كمصر والشام وشمال إفريقية ، والسودان ، والعراق ، وأصبحت هى لغة الثقافة والأدب فى هذه البلاد جميعها إلا بلاد فارس أو إيران الحالية التى آثرت اللغة الفارسية على اللغة العربية ، ولكنها كتبت لغتها الفارسية بالحروف العربية وتضمنت كثيراً من المفردات العربية .

ويقسم الدارسون الأدب العربى إلى عصور ، تبدأ بالعصر الجاهلى ، ذلك العصر الذى يسبق الفترة التى نزل فيها الإسلام على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم . ويرى الباحثون أن ما يشتمل عليه هذا العصر من أدب لا يتجاوز قرناً ونصف القرن .

والعصر الجاهلى لم يشهد دولة موحدة للعرب قبل الإسلام . وإنما كان العرب قبائل متفرقة ، وكأن كل قبيلة هى دولة قائمة بذاتها يجمعها التكافل والمصلحة المشتركة ، وكان شيخ القبيلة يحكم القبيلة بحسب العرف السائد فيها ،

وكانت عليه واجبات أكبر من واجبات الأفراد كما أنه كان يتمتع بحقوق تزيد على حقوق أى فرد منها .

والقبيلة تدافع عن أفرادها وعن نفسها ضد أى عدوان تشنه عليها أى قبيلة أخرى . فإذا اعتدى على فرد منها هبوا لنجدته دون أن يسألوه عن أى أسباب أو مبررات .

وتصور هَذَا الموقف أشعار كثيرة منها قول قريط ابن أنيف :

لو كنتُ مِنْ مازنٍ لم تسبحْ إبلى
بنو اللقيطـــةِ من ذُهْــلِ ابن شَيْبَـــانا

قومٌ إذا الشَّرُّ أبدى ناجذيْه لِهَم
طـــــاروا إليـــه زرافــاتٍ ووُحْدَانَا

لا يسألون أخَاهُم حينَ يَنْدُبُهُم
فى النائبـــاتِ علـى ما قــالَ برْهَانَا

وهم قوم ينصرون أخاهم ظالماً أو مظلوماً ، ويحمون ما يملكه أى فرد من القبيلة من أى غَصْبٍ أو إغارة على ماله . ويخفون لنجدته جميعاً ، ودون تردد أو تكاسل . وهذه الأبيات تحكى قصّة شاعر مسلم استنجد بقبيلته لتخلص له ماله من بنى اللقيطة من ذهل بن شيبان ، ولكنّهم طلبوا إليه أن يشكو إلى الوالى ، فلجأ إلى بنى مازن الذين خَفُّوا لنجدته وأعادوا إليه إبله المغتصبة ، لأنهم قوم

مازالوا يحتفظون بالروح الجاهلية فمن استغاث بهم أغاثوه ومن استنجد بهم أعانوه .

هذه هى القبيلة العربية وهى الخلية الأولى فى بناء الدولة العربيّة الإسلامية التى تدافع عن نفسها فى بيئة قاسية لا مكان للضعيف بها إلا إذا تحالف مع قوىّ يحميه ، وقد اتسم العرب فى هذا العصر بالشجاعة والصلابة لمواجهة قسوة البيئة فما كانوا يهابون الموت بل يستخفون به يقول عنترة :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى * أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل**

فاقنى حياءك لا أبا لك واعلمى * أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل**

وقد عرف العرب بالفصاحة ، والبلاغة ومن ثم كانت معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام هى القرآن الكريم الذى تحداهم وأعجزهم أن يأتوا بآية من مثله . كما عرفوا بالكرم وإباء الضّيْم ، أمّا الكرم فأصبح فيهم كأنّه فطرة فطروا عليها ، وإن كان للبيئة دور فى ذلك ، فهى بيئة فقيرة ومن ثم أصبح الكرم مكرمة يتفاخرون بها ويتسابقون على التنافس فيها وقد عرف العصر الجاهلىُّ الشعر والخطابة والحكم والأمثال ، لكن الشعر كان فنهم الأول : " وكان الشعر فى الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه

بصيرون[1]. ويذكر أيضاً قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : " كان الشعر على قوم لم يكن لهم علم أصح منه[2] .

ومما يثير غرابة الباحثين أن الشعر فى العصر الجاهلى وصل إلينا مكتملاً له تقاليد مرعية وأصول متبعة ، يقول كارل بروكلمان : " كان شعر العرب فناً مستوفياً لأسباب النضج والكمال ، منذ ظهر العرب على صفحة التاريخ ، ولا تستطيع رواية مأثورة أن تقدم لنا خَبَراً صحيحاً عن أولية الشعر الجاهلى الذى وصل إلينا مكتملاً [3] .له تقاليد مرعية وأصول متتبعة ، كما أنه يتمتع بقدر كبير من الجودة ، بل أنه فرض تقاليده على الشعر العربى فيما تلا ذلك من عصور . ولا يمكن أن يكون هذا الشعر ليس له من العمر إلا مائة وخمسين عاماً . ولكن بدايات هذا الشعر غير معروفة ، ولا شك أنه يبلغ من العمر أكثر من تلك المائة والخمسين عاماً . كما أن كيفية نشأة هذا الشعر غير معروفة كذلك . ولذلك رأى بعضهم أن هناك جاهلية أولى تسبق تلك الجاهلية التى تسبق الإسلام مباشرة . ولعل من أوئل من أرادوا التعليل للقصيدة الجاهلية الطويلة المتعددة الأغراض ابن قتيبة الذى قال :

---

[1] طبقات فحول الشعراء ص ٢٤ .

[2] طبقات فحول الشعراء ص ٢٤

[3] كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربى . ج١.ط٣.دار المعارف .القاهرة ،١٩٧٤ ص ٤٤ .

" وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصّد القصيد إنما ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى وشكا ، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها ، إذ كان نازلةُ العَمَد فى الحلول والظّعْنِ على خلاف ما عليه نازلة الَمدَر ، لانتقالَهم عن ماء إلى ماء ، وانتجاعهم الكلأ ، وتتبعهم مساقط الغيث حيثُ كان . ثم وصل ذلك بالنَّسِيب ، فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعى به إصغاء الأسماع (إليه) ، لأن التشبيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ، لما قد جعل الله فى تركيب العباد من محبة الغزل ، وإلف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب ، وضارباً فيه بسهم ، حلالٍ أو حرام ، فإذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء إليه ، والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق [1].

وهذا هو القسم الأول من القصيدة وهو القسم العاطفى إن صح هذه التعبير ففيه تصوير لأثر الرحلة على الفراق الذى تسببه رحلة الحبيبة وأثره على نفوس المتلقين لأنه يتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة ، وميله إليها ، وهو ميل يصوره بأنه ميل فطرى .

---

[1] ابن قتيبة . الشعر والشعراء ، ج١ . تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٦ ص ٧٤ ، ٧٥ .

والميل إلى المرأة مرتبط بطبيعة الحياة الجاهلية القائمة على الرحلة والانتقال المفروض على العرب لأنهم يعيشون فى صحراء تعتمد الحياة فيها على سقوط الغيث ومنابت الكلأ ، فحياتهم غير مستقرة ، والرحلة مفروضة عليهم . ومن ثمّ جاءت القصيدة مبدوءة بالرّحلة وما يتصل بها من غياب المحبوبة الراحلة مع قومها .

وهذا القسم هدفه التأثير على المستمعين وبخاصة الممدوح ثم يلى هذا القسم الثانى : الذى يرحل فيه الشاعر فى شعره وهذا يعنى أن الرحلة ليس من الضرورى أن تكون رحلة فعلية فربما يكون الشاعر لم يغادر البلد الذى به الممدوح . ولكن من الثابت أن الشعراء كانوا يرحلون رحلة حقيقية ، ويعانون من قطع المفاوز أو الصحارى . وهنا معروف منذ هذا العصر الجاهلى .

وهذه الرحلة تعبر عن معاناة الشاعر حتى يصبح من حقه أن ينال جزيل عطاء الممدوح ، وهو ما يعبر عنه ابن قتيبة بإيجاب الحقوق : يقول : " فرحل فى شعره ، وشكا النصب والسهر ، وسرى الليل ، وحرّ الهجير ، وإنضاء الّراحِلَةِ والبعير ، فإذا علم أنّه قد أوجب على صاحبه حقّ الرجاء ، وذمامة

التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره فى المسير ، بدأ فى المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزّه للسماح ، وفضله على الأشباه ، وصغّر فى قدره الجزيل [1].

فوصف الرحلة والراحلة ، والتعب ومجابهة المكاره والأخطار فى هذه الرحلة هو تمهيد للدخول إلى الغرض ، وهو هنا المديح ، فالقصيدة التى يمثل بها ابن قتيبه هنا هى قصيدة المديح ، والشاعر فى هذا المديح يحث ممدوحه على السخاء ويفضله على غيره من الممدوحين . ومن ثم قال ابن قتيبة متحدثاً عن الشاعر " بدأ فى المديح " .

ويورد إبن قتيبه من تقاليد القصيدة العربية ما يسميه التعديل بين أقسام القصيدة بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر فيطيل فى الغزل مثلاً ، ويوجز فى المديح ، بل لابد من أن يوجد الشاعر توازناً بين أقسام القصيدة . يقول ابن قتيبة : " فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدّل بين هذه الأقسام : فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيُملّ السامعين ، ولم يقطع وفى النفوس ظمآء إلى المزيدً . [2] ويضرب مثلاً بأحد الشعراء نظم قصيدة فى مدح نصر بن سيّار غزلها مائة بيت ، ومديحها عشرة أبيات ، فرفض نصر أن يقبل منه ذلك ، فذهب وأوجز فى المديح فقال :

---

[1] نفسه ص ٧٥ .

[2] نفسه ص ٧٥ ، ٧٦ .

هل تعـرف الدار لأم الغمـــر *** دع ذا وَحَبِّــر مِدْحَةً فى نصـر

فقال نصر : لا ذلك ولا هذا ؟ ولكن بين الأمرين .[1]

وهذا يعنى أن تقاليد القصيدة قد رسخت فى العصر الجاهلى واستمر رسوخها بعد ذلك .

ومع أن ابن قتيبة كان له رأيه المعروف فى قضية القديم والجديد وهو رأى رائع حقاً إلا أن رسوخ تقاليد القصيدة جعله يحرم علىالشاعر المحدث أن يخرج على تقاليد القصيدة العربية أوكما قال على مذاهب المتقدمين :فيقول:

" وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام .."[2]

وهو رأى محافظ لا يسمح للمجدد أن ينطلق في تجديده إلى حيث يشاء ، بل يشده إلى التقاليد القديمة ويدفعه إلى المحافظة عليها .

وقد تضمن الشعر في العصر الجاهلي أغراضا متنوعة كالمديح والرثاء والهَجاء والغزل وغيرها كالفخر مثلا وقد كان لهذا الشعر أثره على الشعر العربي في العصور التالية وحتى العصر الحديث .

---

[1]،[2] انظر الخبر ص ٧٦

والعصر الإسلامي يلي العصر الجاهلي، وهو يمتد من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى قيام الخلافة الأمويّة .أى أنه هو العصر الذي شهد مبعث الرسول الكريم عليه السلام ثم حكم الخلفاء الراشدين الأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلي عليهم رضوان الله .

وتسمية هذا العصر بالعصر الإسلامي لا تعنى بطبيعة الحال أن ماتلاه من عصور كالعصر الأموي والعباسي وغيرها ليست من عصور الإسلام بل هي عصور إسلامية أيضاً ، ولكنها تسمية مخصصة بهذا العصر الذي شهد قيام الدولة الإسلامية بقيادة النبي الكريم وخلفائه الأربعة الراشدين ،وفيها تمييز لهذا العصر عن غيره لأنه كان يمثل القيم الإسلامية الخالصة في الحكم والسياسة وغيرها من شئون الحياة .

ويثير هذا العصر قضايا مهمة مثل قضية ضعف الشعر في تلك الفترة ، ومحاربة الإسلام للشعر. وأيضاً عجز الشعراء في هذا العصرعن صياغة المفاهيم الإسلامية والقيم الإسلامية شعرا بكل ما تعنيه الكلمة من معنى . كما تثار في هذا العصر قضية الانتحال . ويبرر ابن سلام لقلة الشعر في العصرالإسلامي وأنه ناجم عن انشغال العرب بالفتح والجهاد ، ولم يدونوا الأشعار فلما انتهت

حروب الجهاد دونوا ما وجدوه فكان قليلا :" فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والرُوم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ،وألفوا ذلك وقد هلك من العرب منْ هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير." [1]

وهناك من يرى أن الشعر لم يقلّ ولم يضعف ومن أوائل من قال ذلك كارلونالينو: حيث يقول " فإذا طالعتم كتب التاريخ القديمة المطوّلة مثل سيرة الرسول لابن هشام ، وكتاب المغازي للواقدى ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبري وجدتم كثرة ما يروونه من أشعار صدر الإسلام . ثم إذا تصفحتم كتب الأدب القديمة مثل كتاب الأغاني وغيره ألفيتم أن الآداب العربية لم تزل في ذلك العصر زاهية، وأن الشعراء لم ينصرفوا عن أنواع قريضهم ولا الخطباء عن نسج نثرهم." [2]

وهو يرد بهذا على ماذكره ابن سلام فيما نقلناه عنه من قبل . وهذا الرأى يتطابق مع رأى أستاذنا الدكتورشوقي ضيف الذي يرى الرأى نفسه : فيقول بعد

---

[1] طبقات فحُول الشعراء ، جـ ١. ص ٢٥

[2] تاريخ الآداب العربية ،جـ٢ دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧٠ ص ١٠٤

مقدمة طويلة [١]: " ومن يرجع إلى كل هذه المصادر يستقر في نفسه أن الشعر ظل مزدهراً في صدر الإسلام ، وليس بصحيح أنه توقف أو ضعف كما ظن ذلك ابن خلدون في مقدمته ." [٢]

وابن خلدون يقول في رأيه الذي يعترض عليه الدكتور شوقي ضيف : " ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك ، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ، ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه ." [٣]

وابن خلدون لم يتأثر فحسب بما قاله ابن سلام ، بل هو يضيف إليه أمراً آخر ، وهو أثر القرآن الكريم المعجز على العرب ،ثم اعتقادهم بأن نظم الشعر محرّم عليهم ، ولكنهم عادوا إلى دَيْدَنِهِمْ منه بعد أن رأوا الرسول الكريم يثيب عليه ويستمع إليه . فقد أدركوا أن الإسلام لا يحظر الشعر ، ولا يحرّم نظمه . ولذلك فابن خلدون لا يكتفى بأن الشعراء شغلوا بالجهاد فانصرفوا عن نظم الشعر .

---

[١] العصر الإسلامى . دار المعارف . ط٧. القاهرة، ١٩٧٦ ص ٤٢،٤٣
[٢] نفسه ص ٤٣
[٣] ابن خلدون .المقدمة. ط٤. دار القلم . بيروت . لبنان ١٩٨١ص ٥٨١

ومع ذلك فقضية قلة الشعر تسلم إلى قضية أخرى هي ضعفه في العصر الإسلامي بالقياس إلى العصر الجاهلي أو العصر الأموي. ومن ثم رأى بعض الباحثين أن الشعر قد ضعف لأسباب أخرى ، وهي أن الإسلام غير حياة العرب تغييراً هائلاً، لم يستطع العرب أن يستوعبوه ، مع إيمانهم الصحيح بالإسلام، ومن ثم كان الأمر يحتاج إلى وقت حتى يتمثلوا الدين الجديد ، ويعبروا عنه تعبيرا شعريا جميلا ولا يكتفون بالتعبير عنه في نظم خال من روح الشعر .

فقد رأى الدكتور عبد القادر القط أن الشعراء المسلمين عجزوا عن مواجهة التغيير الذى أحدثه الإسلام في حياتهم من جانبها الأخلاقي والاجتماعي والروحي فيقول:" ذلك لأن هؤلاء الشعراء قد واجهوا منذ البداية – وبخاصة المسلمين منهم– عبء الاتصال المباشر بالقيم الجديدة ،وما تحمله من مظاهر التغير، في الخلاق والسلوك والقيم الاجتماعية والروحية. كما كان عليهم أن يشاركوا في المعركة من جانبها الكلامي.[1]لم يكن من اليسير لا على شاعر قضى الجانب الكبير من حياته في الجاهلية كحسان ابن ثابت مثلا – أن يجد لنفسه أسلوباً جديداً من الشعريحسن التعبيرعن تلك القيم والقضايا الجديدة ،يحتفظ في الوقت نفسه بتلك الخصائص الفنية التى نمت وتطورت في ظل مجتمع مختلف في

---

[1] المقصود بالمعركة هى المعركة الشعرية التى دارت بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين الذين كانوا يهاجمون الإسلام ويهاجمون النبى صلى الله عليه وسلم .

في قيمه وقضاياه .

أمّا الشعراء الذين كانوا أقل انغماساً في تلك الحرب الكلامية فإنهم لم يشعروا كثيراً بهذه "الأزمة" الفنيّة ، ومضوا يقولون الشعر كما كانوا يقولونه في الجاهلية على شئ من الاختلاف اليسير كان لا بد أن يكون وهم يعيشون في ذلك المجتمع الجديد . (١)

وإذن فالضعف ناجم عن أزمة فنية ناجمة عن تحول حضاري عجز الشعراء في صدر الإسلام عن مواكبته لأنه كان يمثل تغييراً هائلا في حياة العرب .

ومع ذلك يستبعد الدكتور عبد القادر القط أن يكون ضعف الشعر في صدر الإسلام كان سببه الإسلام الذى كما يرى البعض كان يحارب الشعر ،فوضح أن الإسلام كان لا يحارب إلا شعر المشركين الذى يهاجم الإسلام والمسلمين والنبى صلى الله عليه وسلم .

بل ويمضي الدكتور عبد القادر القط إلى أبعد من ذلك فيرى أنّ الضعف الذي أصاب الشعر في ذلك العصر ، لم يكن وليد عصر صدر الإسلام وإنما كان الشعر الجاهلى قد ضعف قبيل الإسلام لا بعده . ويعلل لذلك بقوله :" كان قد

---

(١) د. عبد القادر القط . في الشعر الإسلامى والأموى . دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت. لبنان ١٩٧٨ ص ١٢ ، ١٣

انقضى عصر "الفحول" ، ولم يبق منهم إلا الأعشى الذي مات – كما تقول الرواية – وهو في طريقه إلى النبى ليمدحه ويعلن إسلامه ، ولبيد الذي كان قد بلغ الستين وأوشك أن يكف عن قول الشعر ولم يبق عند ظهور الإسلام إلا شعراء مقلون بعضهم مجيد في قصائد مفردة ، ولكنهم لا يبلغون شأو هؤلاء الفحول.[1]

وعلى أيّة حال فقد أصبح من المسلّم به الآن أن الشعر قد ضعف في هذا العصر ، وأن أصح الآراء في هذا هو ما ذكره الدكتور عبد القادر القط الذى رأى أن الشعراء المسلمين عجزوا عن التكيف مع الوضع الإسلامى بقيمه الجديدة عقائديا وحضاريا . وأن الشعراء في العصر الأموى – في رأينا – استوعبوا الإسلام قيما وحضارة واستفادوا من القرآن الكريم والحديث الشريف بما ورد فيهما من الصور والأخيلة والتعبيرات الراقية والبديعة . ولقد وجد الشعراء العرب لأنفسهم أستاذا جديدا هو الكتاب والسنة ولقد استفادوا من ذلك فائدة ظاهرة . ومن هنا كان الشعر الأموى نقلة كبيرة إذا قيس بالشعر الجاهلى أو الشعر في صدر الإسلام بل يمكن القول إن الأخطل وهو شاعر مسيحى لم يسلم من أثر الإسلام عليه .

---

[1] نفسه ص ١٣

ومن القضايا الهامّة في هذا العصر قضية الإنتحال التى أثارها الدكتور طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلى ١٩٢٦ م عندما يعلن شكه في الشعر الجاهلى

فيقول :" وأول شئ أفجؤك به في هذا الحديث هو أنى شككت في قيمة الشعر الجاهلى ، وألححت في الشك ، أو قل ألحّ علىّ الشك ، فأخذت أبحث وأفكر وأقرأ وأتدبر ، حتىّ انتهى بي هذا كله إلى شئ إلا يكن يقيناً فهو قريب من اليقين . ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعراً جاهلياً ليست من الجاهلية في شئ ، وإنما هى منتحلة مختلقة بعد ظهور الإسلام ، فهى إسلاميّة تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين . واكاد لا أشك في أن مابقى من الشعر الجاهلى الصحيح قليل جداً لايمثل شيئاً ولا يدل على شئ ."[1]

وإذا كان يرىأن أغلب الشعر الجاهلى منتحلا فإنه يمضى إلى إنكار أن شعر امرئ القيس وطرفة وعمرو بن كلثوم وعنترة هو شعر منتحل ، انتحله الرواة أو الأعراب أو القصاص ، أو إخترعه المفسرون والمحدثون والمتكلمون .

يقول :" أن مانقرؤه على أنه شعر امرئ القيس أو طرفة أو ابن كلثوم أو عنترة ليس من هؤلاء الناس في شئ ، وإنما هو انتحال الرواة ، أو اختلاق

---

[1] طه حسين .في الشعر الجاهلى. مطبعة دار الكتب المصرية.القاهرة، ١٩٢٦ ص٧

الأعراب أو صنعة النحاة أوتكلف القصاص ، أو اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين ." [١]

ويعود مرة اخرى إلى تأكيد ماذكره من أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعراً جاهلياً هى منتحلة فيقول :" إنّ الكثرَة المطلقة مما نسميه الشعر الجاهلى ليست من الشعر الجاهلى في شئ ." [٢]

ولم يتجاوز طه حسين في هذا الكلام الحقيقة ، بل تجاوز العقل والمنطق، ورمى وراء ظهره بكل شئ من عقيدة وغيرها عندما أنكر وجود ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وأبى أن يصدق ما ورد في القرآن بشأنهما .

فقال :" .. للتوراه أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراه والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما ، فضلا عن أن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة اسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها .

ونحن ممضطرون إلى ان نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى ..." [٣]

---

(١) طه حسين .في الشعر الجاهلى. مطبعة دار الكتب المصرية.القاهرة، ١٩٢٦ ص٧
(٢) نفسه ص ٩
(٣) نفسه ص ٢٦

ولسنا نرى في ما يزعمه طه حسين ما يثبت انتحال الشعر الجاهلى وإنما نرى فيه خروجا على الإسلام وكيداً له ، فمعروف ان القرآن الكريم كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكان ينبغى على طه حسين أن يتورع عن اتهام القرآن أو المصحف فيما ورد به . فسيدنا إبراهيم حقيقة كما أن اسماعيل عليه السَّلاَم أيضاً حقيقة لا تحتاج من طه حسين إلى إثبات أو إنكار، فعند طه حسين أن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، لم يأتيا إلى مكة ، وما يترتب على ذلك من إنكار حقائق التاريخ.

بل إن طه حسين يمضي إلى أبعد مدى فيجعل بناء إبراهيم واسماعيل للكعبة أسطورة من الأساطير فيقول:" وإذن فليس ما يمنع قريشا من أن تقبل هذه الأسطورة التى تفيد أن الكعبة من تأسيس إبراهيم واسماعيل ، كما قبلت روما قبل ذلك ولأسباب مشابهة أسطورة أخرى صنعها لها اليونان تثبت أن روما متصلة بإينياس ابن بريام صاحب طروادة. امر هذه القصة إذن واضح . فهى حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام ، واستغلها الإسلام لسبب دينى ،وقبلتها مكة لسبب دينى وسياسي أيضاً."[1]

وطه حسين يكون بهذا قد أسرف على نفسه ، وترك موضوع بحثه وهو البحث في أصالة الشعر الجاهلى ومدى تمثيله لحياة الجاهليين ، ومدى صحة

---

[1] نفسه ص ٢٨ ، ٢٩

نسبته إليهم . فلا هو حقق هدفه بإثبات الانتحال للشعر الجاهلي ولا هو ابتعد عن الطعن في أمور تجعله خارج ملة الإسلام .

وهو بهذا كله يريد أن ينفى قصة العرب العاربة والمستعربة لأن عرب الشمال كما هو معروف ينسبون إلى اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام ، وهم العرب العاربة وطه حسين لا يوافق على هذا الكلام .

والانتحال في الشعر القديم تحدث عنه القدماء ومن هؤلاء ابن سلام الذي رأى أن محمد بن اسحاق بن يسار راوى السيرة النبوية لم يكن يتحرز فيما يرويه من الشعر ، فهو يروى الشعر لرجال ونساء لم يقولوا الشعر قط ، كما روى أشعاراً هابطة ، كما روى لعاد وثمود أشعاراً وهى أشعار منتحلة بطبيعة الحال .[1]

ويشير ابن سلام إلى الانتحال وهو يتحدث عما حمل على طرفة وعبيد ابن الأبرص ، يقول :" ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه، قلة ما بقى بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد ، اللذين صحّ لهما قصائد بقدر عشر . وإن لم يكن لهما غيرهن ، فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة ، وإن كان مايروى من الغثاء لهما ، فليس يستحقان مكانهما على أفواه الرواة. ونرى أن

---

(1) انظر طبقات الشعراء جـ ١. ص ٧ ، ٨

غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير ،غير أن الذى نالهما من ذلك أكثر . وكانا أقدم الفحول. ولعل ذلك لذلك . فلما قلّ كلامهما ، حمل عليها حَمْلٌ كثير." (١)

وابن سلام يذكر ما حمل على طرفة و عبيد بن الأبرص ، لقلة ما روى عنهما ، وذلك لضياع أغلب شعرهما . ثم يذكر ابن سلام سَبَباً من أسباب انتحال الشعر غير ما سبق وهو العصبيّة :" فلما راجعت العرب رواية الشعر ، وذكر أيامها ومآثرها ،استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ،وماذهب من ذكر وقائعهم . وكان قومٌ قلت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسنة شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الأشعار التى قيلت . وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ، ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولدون ." (٢)

فمن قلت وقائعه يعنى إيامه القديمة التى تشير إلى انتصاره قديما ألف أشعاراً تثبت له تلك الأيام القديمة وهنا ظهرت قصائد منتحله تثبت تلك الأيام لهذه القبائل .

كما يظهر ابن سلام شكه في بعض الرواة الذين عرفوا بتزييف الشعر وعدم الأمانه في نقله مثل حماد الراويه :" وكان أول من جمع أشعار العرب

(١) طبقات الشعراء جـ ١. ص٢٦
(٢) طبقات الشعراء ص٤٦ وانظر ذلك ص ٤٧

وساق أحاديثها : حماد الراوية ، وكان غير موثوق به ، وكان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ، ويزيد في الأشعار " [1]

وهذه يعنى أن ابن سلام كان واعيا بالانتحال في الشعر ولكن هذا لا يعنى أن الشعر الجاهليّ كان منتحلا لأن في هذا تطرفا وتجاهلا لكثير من الحقائق التى يعرفها الدارسون للأدب العربي .

ومما يدل على وعىالقدماء بالانتحال وأنه كان في نصوص محدودة أنهم أشاروا إلى النصوص المنتحله : [2] ومع ذلك فإن الأسس التى أقام عليها طه حسين نظريته في الانتحال هى : أولا : أنكر وجود لغة عربية واحدة للعرب قبل الإسلام سواء كانوا عدنانيين أو قحطانيين .

ثانيا: ما انتحله الرواة والشعراء ولفقوه باسم غيرهم .

ثالثا:الخلاف بين لغة العدنانيين في الشمال،ولغة القحطانيين في الجنوب .

رابعا: تأثره بمرجوليوث .

ويمكن القول إنّ إن السبب الأول الذى يعتمد عليه طه حسين في إنكار الشعر الجاهلى ورفضه وهو أن العرب لم يكن لهم لغة واحدة قبل الإسلام معتمدا على الفرض الذى فرضه وهو ان القبائل العربية كانت مختلفة اللغات قبل الإسلام

---

[1] نفسه ص ٤٨، وانظر ص ٤٩

[2] انظر النقد المنهجى عند العرب . نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٩٦ ص ١٨- ٢٢

سواء كانت عدنانية أو قحطانية ، ثم نظموا شعراً لا يحمل أى مظهر من مظاهر الإختلاف. (١)

فإذا وجد من يقول له : إن هذه اللهجات كانت مختلفة قبل الإسلام وبعده أيضاً ، رد هو على نفسه فقال : إن القبائل بعد الإسلام قد اتخذت للأدب لغة غير لغتها وتمسكت بهَا إذا كتبت أو قالت شعراً، فالإسلام هو الذى فرض على العرب اللغة العربية التى نزل بها القرآن مع أنها لم تكن لغتهم بل هى لغة قريش. (٢)

وما يعمد إليه طه حسين ليس كلاما منطقيا ، بل هى وجهة نظر عثر عليها عند مرجوليوث المستشرق اليهودى المعروف . وقد تعرض الدكتور عبد القادر القط في معرض حديثه عن لغة الشعر الجاهلى إلى رأى مرجوليوث – والذى تأثر به طه حسين الذى ينكر فيه هذا المستشرق وجود شعر عربي قبل الإسلام مدعيا ان ذلك الشعر العربي إنما نشا بعد البعثة النبويّة الشريفة ، مما يعنى أن هذا الشعر منحول ، ولذلك السبب ينكر وجوده يقول الدكتور عبد القادر القط مفندا هذا الرأى :" ولسنا في حاجة إلى نقد نظرية مرجوليوث بكاملها ، فيكفى لدحضها أنها لا تذكر إلا أربعين سنة فقط ، وهى المدة بين اكتمال نزول القرآن الكريم على الرسول وبين ظهور الشعر الأموى ،(وهى فترة زمنية يثق

(١) انظر فى الشعر الجاهلى . ص٣١ – ٣٥
(٢) نفسه . ص ٣٥ ، ٣٦

مرجوليوث بِأنّ ما ورد بها من شعر لم يكن منتحلا) ، وذلك لكى يتطور في أثنائها الشعر العربي من الحالة البدائية التى كان عليهافي القرآن ، وإنه لمسلك غريب أن ندين أدبا وفير الإنتاج بكامله بتهمة أنه " منحول" في فترة تالية من الزمن ، دون أن يكتشف من كانوا يعيشون غير بعيد من العصر الجاهلى ، ما وقع بذلك الأدب من تزييف ." [1]

وقد قال طه حسين بما قاله مرجوليوث ، وحاول تأكيده بشتى الوسائل ، مع أن هذا الرأى ليس صحيحا . وقد أكد الدكتور عبد القادر القط أن العرب كانت لها لغة موحدة قبل الإسلام فقال :" ويثبت هذا كله أنه كانت هناك لغة عربيّة موحدة طرحت معظم الاختلاف في القواعد النحويّة ، وإن ظلت تحتفظ بألفاظ كثيرة من اللهجات العربيّة . ومن ثم نستنتج أن الشعر العربي قد نظم بلغة كان العرب يتكلمونها خارج نطاق دوائرهم المحلية ، وفي حالات طربهم وانتصارهم على عدوهم وهى لغة تشبه الانجليزية الفصحى."[2]

ويعرض لآراء مستشرقين منصفين راوا أن العرب كانت لهم لغة أدبية موحدة ، وينكرون نسبتها إلى قبيلة معينة مثل قريش أوغيرها من القبائل ثم يعرض بعد ذلك إلى ما يثبت ان العرب كانت لهم لغة عربيّة موحدة فيذكر أن

---

(1) مفهوم الشعر عند العرب . ترجمة دكتور عبد الحميد القط . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٨٢ ص ٦٥
(2) نفسه ص ٧٠

كتب الأدب لم تذكر مايدل على أنه كانت هناك صعوبات في التفاهم بين القبائل العربيّة ، مما يؤكد أن العرب كانوا قد حققوا فى العصر الجاهلى قدراً كبيراً من الوحدة اللغوية . [1]

وهو رأى دقيق تؤكده وقائع الدعوة الإسلامية ، بما تكشفه بوضوح من أن النبى عليه السلام والمشركين كانوا يتكلمون لغة واحدة ويفهم بعضهم بعضا بسهولة ويسر .

ويذكر الدكتور القط أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتلو القرآن الكريم على أفراد من قبائل مختلفة ، ولم تنشأ صعوبات في فهم القرآن من جانبهم ،كما أن التفاهم بين المهاجرين والأنصار قد تحقق منذ اليوم الأول للهجرة ، ولم تكن هناك صعوبات لغويّة تحول بين الفريقين وبين التفاهم . وكان القرآن الكريم يؤثر في نفوس أهل مكة ، كما يؤثر في نفوس أهل المدينة ، مما يدل على أن المدينتين كانتا تستخدمان لغة واحدة لا في الشعر وحده ولكن في جميع شئون الحياة ، وكانت الوفود التى تفد على الرسول صلى الله عليه وسلم لتعلن إسلامها، أو لتتعرف على ذلك الدين الجديد تتفاهم مع الرسول عليه السلام باللغة نفسها التى كان يتكلمها . ولم تنشا صعوبات تتصل بالتفاهم بين الطرفين . وكان الشعراء

---

[1] نفسه ص ٦٨ ، ٦٩

الجّوالون من أمثال عبيد بن الأبرص وطرفة بن العبد ، وحسان بن ثابت والنابغة الذبياني ينظمون أشعارهم بلغة واحدة هي اللغة الفصحى التي نعرفها جميعا [1]

ومما يؤكد تأثر طه حسين بمرجوليوث إشارته إلى ما أشار إليه مارجوليوث من النقوش الأثرية وأن لغتها مخالفة للغة العربيّة الفصحى .

وقد حشد طه حسين كل ما استطاع من أفكار مثل رفضه لمسألة القبائل اليمنية والقبائل العدنانية وذلك لكي ينكر حقائق معروفة منها أن القبائل اليمنية كانت تستخدم اللغة الفصحى التي تستخدمها العدنانية أي عرب الشمال يقول :" وهم متفقون على أن القحطانية عرب منذ خلقهم الله فطروا على العربية فهم العاربة ، وعلى أن العدنانيّة قد اكتسبوا العربية اكتسابا ، كانوا يتكلمون لغة أخرى هي العبرانية أو الكلدانية ، ثم تعلموا لغة العرب العاربة فمحت لغتهم الأولى من صدورهم وثبتت فيها هذه اللغة الثانية المستعارة . وهم متفقون على أنّ هذه العدنانية المستعربة إنما يتصل نسبها باسماعيل بن ابراهيم ، وهم يروون حديثا يتخذونه أساسا لكل هذه النظرية ، خلاصته أن أول من تكلم بالعربية ونسي لغة أبيه إسماعيل بن ابراهيم ..." [2]

---

[1] نفسه ص ٦٧ -٧٠ بتصرف
[2] في الشعر الجاهلى ص ٢٥

والحديث الذى يشير إليه طه حسين هو ما يذكره ابن سلام إذ يقول :

"وأخبرنى يونس ، عن أبى عمرو بن العلاء قال : العرب كلهم ولد أسماعيل إلا حمير ، وبقايا جرهم ، وكذلك يروى أن إسماعيل بن إبراهيم جاورهم وأصهر إليهم ." [1]

وهذا الكلام منتشر معروف في الثقافة العربيّة الإسلاميّة فإسماعيل هو أبو عرب الشمال ، كما أنّه :" أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه اسماعيل ابن ابراهيم صلوات الله عليهما ." [2]

وينكر طه حسين هذه الحقائق ولا يثق بها ، ويعتبرها ضربا من الخرافة والأساطير ، لأن هذه الأخبار ترى أن القحطانيين والعدنانيين كانوا يتكلمون لغة واحدة ، كانت هى لغة القحطانيين ،فاكتسبها منهم العدنانيون فصارت لغة لهم أيضا .

ويعتمد طه حسين أيضا على ما قاله أبو عمرو بن العلاء في ذلك :" مالسان حمير وأقاصى اليمن اليوم بلساننا ولاعربيتهم بعربيتنا " [3] فأبوعمر بن العلاء يقرر هنا أن لسان حمير وأقاصى اليمن في زمنه يخالف لسان عرب

---

[1] طبقات الشعراء. ط. ص٩
[2] نفسه ص٩
[3] نفسه ص ١١

الشمال ، وهذا يعنى أن القحطانيين والعدنانيين لم يكونوا يتكلمون لغة واحدة .
وهو رأى مشكوك فيه .

وعلى أيّة حال فإن نظرية الانتحال هذه نظرية فاسدة إذا طبقناها على الشعر الجاهلي بالصورة التي يطبقها بهَا طه حسين ، الذي يرى أن أغلب الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا منتحل وضعه المسلمون بعد الإسلام وأن اللغة العربية الفصحى التي تمثلها الأشعار الجاهلية ، لم تنشأ إلا بعد الإسلام . ومن ثم لم ينشأ الشعر العربي في رأيه إلا بعد الإسلام . وقد ذهب كارل بروكلمان إلى رفض آراء طه حسين ، ومن قبله آراء مرجوليوث في الانتحال :فقال :" ومن ثم يعد خطأ من مرجوليوث وطه حسين أن أنكرا استعمال الكتابة في شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام بالكلية . ورتبا على ذلك ما ذهب إليه من أن جميع الأشعار المروية لشعراء جاهليين مصنوعة عليهم ، ومنحولة لأسمائهم ." [1]

[1] كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربي .جـ١ . ط٣ .دار المعارف .القاهرة ، ١٩٧٤ ص ٦٤

العصر الأموى

ويلى العصر الإسلامى أو عصر صدر الإسلام ، العصر الأموى وهو عصر يكثر فيه الشعراء ، ويتطور فيه الشعر تطوراً كبيراً . ففى هذا العصر نجد شعراء فحولاً يناظرون فحول الشعراء في العصر الجاهلى : وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى . إذ نجد فحول الشعر الأموى أربعة : الفرزدق ، وجرير ، والأخطل والراعى النميرى ويقول ابن سلام :" واختلف الناس فيهم أشد الاختلاف وأكثره . وعامة الاختلاف أو كله في الثلاثة ، ومن خالف في الراعى فقليل ." [1]

والاختلاف الذى يذكره هو في أيهم أشعر من صاحبه وكان الاختلاف شديداً حول الفرزدق وجرير والأخطل ، أما الراعى فعامة العلماء لا تختلف عليه باعتباره أحد الفحول الإسلاميين الأربعة . ولكن المشهور أن الفحول في العصر الأموى هم الفرزدق وجرير والأخطل.

ويبدأ العصر الأموى بتولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة بعد مقتل سيدنا على بن أبى طالب. وذلك في سنة ٤١ هـ وسمى عام الجماعة لاجتماع المسلمين على خليفة واحد هو معاوية.

---

[1] طبقات الشعراء .جـ٢ .ص٢٩٩

وقد ظهرت في هذا العصر فنون جديدة كالغزل العذرى والغزل الحضرى ، كما أن توحد الدولة الإسلامية وتشجيع الخلفاء للشعراء قد أدى إلى تطور الشعر تطوراً واسعا بالقياس إلى العصر الجاهلى وكثر الشعراء في هذا العصر كثرة ملحوظة. وكما قلنا ظهرت فنون شعرية كالشعر المعروف بالشعر السياسي أو شعر الفرق الإسلامية كالخوارج وغيرهم . وظهر في ذلك العصر كذلك شعر النقائض الذى تفوق فيه جرير بشكل ملحوظ.

وهناك من يقسم عصور الأدب العربي تقسيما آخر وإن كان يجعل العصر الجاهلى هو العصر الأول من هذه العصور : فيقول:" عصر الجاهلية المنتهى من زمان لا تدرك أوائله ، إلى ظهور الإسلام .وهو عصر عربي صريح لغة وأدبا وبلاداً ." [1]

ولكنه يتجاهل العصر الإسلامى أو عصر صدر الإسلام ويدخله ضمن العصر الأموى ويسميه العصر العربي الإسلامى فيقول :" العصر العربي الإسلامى من ظهور الدين الإسلامى إلى انقراض الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ، ٧٥٠م . وفيه انتشر استعمال اللغة العربية في بلاد متباعدة بتوسع حدود المملكة بالفتوحات المشهورة فأخذت الآداب العربية تزهو أيضا فيما خارج جزيرة العرب

---

[1] تاريخ الآداب العربية ص ٥٧

لا سيما في بلاد الشام إلا انها لم تزل محصورة في ميدان آداب الجاهلية ماعدا العلوم المتعلقة بأمور الدين ."[1]

إذن العصر الجاهلي يتلوه عِنْدَ "نلينو" العصر العربي الإسلامى الذى يمتد من الدعوة الإسلامية حتى سنة ١٣٢ هـ ، ويرى أن الأدب العربي قد ازدهر في هذا العصر بسبب الفتوحات الإسلامية ، كما ظل هذا الأدب محصوراً في الفنون الأدبيّة الجاهلية وهذا يعنى أن هذا الأدب وإن تطوّر – ظل محصوراً في نطـاق الأغراض الجاهليّة

وقد شجع الأمويون الشعراء وتسامحوا مع من كان يناصر أعداء هم مـا دام قد عاد إلى مدحهم وتخلى عما كان يقول به من مناصرة غيرهم .

---

[1] نفسه ص ٥٧، ٥٨

العصر العباسي

العصر العباسي يبدأ بسقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ وينتهي بسقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ . وقد يقسمه بعض الباحثين إلى العصر العباسي الأول من ١٣٢ هـ - ٤٥٠هـ " وصار فيه للأمم الأعجمية القسم الأوفر من أمور الدنيا والدين ، بل غلبت العجم على العرب في تكون التمدن الإسلامي ، فأدخلت كتب العلم العجميّة القديمة ، واتسع التفنن في الآداب ، وسلكت فيها مسالك جديدة ، وصيغت صياغة النظم والنثر في بعض القوالب المستحدثة ، وبلغت العلوم والفنون وبعض أنواع الآداب مداها الأقصى من الكمال والإتقان والرونق والبهاء ، وذلك ثمرة ما سببه الإسلام من تعاون الأمم المختلفة الأصل والأخلاق والأميال ..... إلخ"[1]

وهو هنا يشير إلى التطور في الأدب العربي ، وإلى بلوغه الكمال ، وذلك بسبب الاتصال بالحضارات الأجنبية في البلاد المفتوحة سواء كان ذلك في الجوانب المادّية أو الثقافية للحضارة ، متناسياً أن الحضارة الإسلاميّة كانت قد أزدهرت بحكم التطور في العمران والثقافة ، وتكون دولة متقدمة مستقرة في هذه العصور .

---

[1] نفسه ص ٥٨

وإذا كان العصر الأموى ٤١- ١٣٢ هـ قد أثار العصبية بين القبائل ، وكان سُلْطَان العرب في هذه الدولة هو الغالب فإن الدولة العباسية ١٣٢-٦٥٦ هـ قد كانت دولة مستقرة وبخاصة في العصور الأولى مما ادى إلى ازدهار الحضارة وتنوع المعارف والإتصال بالثقافة الأجنبية . ويرى كارل بروكلمان أن المدة ٧٥٠ – ١٠٠٠م تعتبر عصراً للنهضة العربيّة ويُوَضِّح أن السلطان كان للعرب في الدولة الأمويّة أمّا في الدولة العباسية فكان للأعاجم : " كان سلطان الدولة الأموية سلطاناً عربياً أصيلاً ، متجاوباً تماماً مع نزعات الأمّة العربيّة ، موافقاً لطابعها الشعبي إلى حد معلوم .

على أن نزاع القبائل كان قد أضعف هذا السلطان منذ زمن طويل ، فتداعت أركانه ، وتقوض بنيانه أمام صولة العجم ، الذين كانوا حتى ذلك العهد خاضعين مغلوبين على أمرهم ." [1]

ثم يقول : " وقد رجحت كفة هؤلاء الأعاجم في الدولة العباسيّة ، ووصلوا في بلاط بغداد وشيكاً إلى نفوذ كبير ، واستطاع البرامكة ، وهم بيت من بيوتات إيران أن يحتفظوا بالوزارة في أيديهم نحو نصف قرن من الزمان ." [2]

---

[1][2] كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربي . ط٢ .ترجمة دكتور عبد الحليم النجار . ط ٢ . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٨ ص ٧

ومن المعروف انه في عهد الخلفاء الأقوياء مثل أبو عبد الله السفاح ، وأبو جعفر المنصور وهارون الرشيد كان النفوذ الفارسي غير مطلق ، فقد قام أبو جعفر المنصور بقتل أبى مسلم الخرسانى عندما خاف من نفوذه وسلطانه مع ما لهذا الأخير من فضل في قيام الدولة العباسيّة كما فتك هارون الرشيد بالبرامكة لمّا اتسع نفوذهم في الخلافة فقد تخلص منهم بطريقة قاسية جداً . ولكن سرعان ما اتسع نفوذ الفرس وبخاصّة بعد الصراع بين الأمين والمأمون ، وهو صراع يرى المؤرخون أنه كان في الظاهر صراعاً بين الأمين والمأمون ، ولكنه في الحقيقة كان صراعاً بين الفرس والعرب ، الفرس الذين يدافعون عن حق المأمون في الخلافة بينما العرب يقفون خلف الأمين الذي كان يعضده الحزب العربي ، وقد انتصر الفرس على العرب ومنذ ذلك الحين ضعف النفوذ العربي في الدولة العباسية ، ثم أصابها التفتت والانقسام .

وإذا كانت الشعوبيّة قد نشأت في العصر الأموى ، فإنها ظهرت في العصر العباسي في أشعار بعض الشعراء مثل بشار ولكن الشعوبيّة كما يرى الدكتور شوقي ضيف لم يكن هدفها قدحاً في الدين الإسلامى بل هى شعوبيّة عنصرية تريد تفضيل العنصر الفارسي على العربي ، وكانت نشأتها بسبب سيطرة العنصر العربي على مقاليد الدولة ، واعتباره العنصر الأول في الدولة .

ولما تفتت الدولة العباسيّة إلى دويلات كانت الميزة في هـذه الدولـة لا للدولة العباسيّة ، ولكن للشعر والأدب الذي إرتقى في هذا العصر لأن كل حـاكم لإقليم كسيف الدولة أو كافور أو غيرهما كان يشجع الشعراء ليمدحوه ويخلـدوا ذكره ، فتنافس الشعراء وارتقى الشعر . ويكفى أن ينشأ المتنبي في هذا العصـر الذي لم يعد لدولة الخلافة سلطان فيه على أقاليم كثيرة من أقاليم الدولة وأصـبح سلطانها اسمى فقط .

ولعل أشهر شاعرين في العصر العباسي كانا هما أبو تمام والبحتـرى . وكثر الخلاف حول أيهما أشعر ، وهناك من يقدم أبا تمـام وهنـاك مـن يقـدم البحترى ، ولكن هذا العصر تضمن عدداً كبيراً من الشعراء مثل بشار بن بـرد ، وابن الرومى ، وعبد الله بن المعتـز ، والمتنبـي ، وأبـي العـلاء المعـرى وغيرهم كثير . ولابد من الإشارة إلى نشأة العلوم العربيّة المختلفة في هذا العصر وإلى اتساع الخلافة في تشجيع الشعراء ،وانتشـار الوراقـة وتـدوين الشـعراء لشعرهم، وتداوله بايدى من يريد من المثقفين .

وهناك من يقسم هذا العصر إلى عصر عباسي أول وهو يبدأ مـن١٣٢ هـ إلى٤٥٠ هـ ،وإلى عصر عباسي ثان وهو من٤٥٠ هـ- ٦٥٦هـ حيـث سقطت بغداد في يد التتار.وهذا العصر العباسي الثانى يصفه" كا.رلونلينو" بقوله :

"العصر العباسي الثانى من نحو سنة ٤٥٠هـ ،١٠٥٨م إلى فتح التتار مدينة بغداد وانقطاع دولة بنى العباس سنة ٦٥٦هـ ،١٢٥٨ م وفي هذا العصر أخذت الآداب والعلوم تنحط عما كانت عليه من الكمال تبعه للانحطاط السياسي الذي كان قد ابتدأ في العصر السابق حين تجاسر الجند التركى على الخلافة في أيام المتوكل (٢٣٢هـ- ٢٤٧هـ ،٨٤٧- ٨٦١م) فاستولى على الدولة أمراء الجيوش مثل وصيف وبُغَا ، وأتامش ، كما قال الشاعر :

أصبح الترك ما لكى الأمر والعا ... لَمُ ما بين سامع ومطيع

وزاد تفرع الدولة إلى دول صغيرة في أنحاء مختلفة، فربما تلاشت العلائق بينها ، واختلفت أحوال الآداب على اختلاف البلاد ." [1]

ثم يلى هذا العصر العباسي الثانى ما يسميه نلينو عصر الانحطاط .

---

(1) تاريخ الآداب العربية . دار المعارف ص ٥٨ ، ٥٩

عصر الانحطاط

ويبدأ من انتهاء الدولة العباسيّة حتى استيلاء محمد على باشا على مصر سنة ١٨٠٥ م .وقد انحطت في هذا العصر العلوم والآداب وغلب التقليد والجمود في العلم والأدب ، وكسدت المعارف والآداب كساداً ملحوظاً. [١]

ويمكن أن نشير في هذا المجال وهو تقسيم الأدب العربي إلى عصـــور مختلفة . إلى بعض العصور السابقة على ولاية محمد على باشا لحكـــم مصـــر ١٨٠٥م . حيث إن بعض هذا العصور يعد مهما جداً في فهم تطور الأدب فـــي مصر ، فلا يمكننا أن نهمل الأدب في العصر الأيوبي (٥٦٧ هـــ - ٦٤٨) . فقد كان قيام الدولة الأيوبية على يد صلاح الدين الأيوبي الـــذى قـــدم إلـــى مصـــر مصادفة مع عمه أسد الدين شيركوه في أثناء خلافة الخليفة الفـــاطمى العاضـــد لمساعدة مصر على صد هجمات الصليبين ، الذين أعتقدوا أن أمرهم لن يســـتقر في الشام إلا بالاستيلاء على مصر .

قام شيركوه بقتل شاور ، وزير الخليفة الفاطمى العاضد . وتولى الوزارة مكانه ، ولم يلبث شيركوه ان توفي ، فتولى صلاح الدين الوزارة مكانـــه ســـنة ٥٩٥هـــ ، وأصبح سلطان الخلافة لا بيد الخليفة الفاطمى ، ولكن بيـــد صـــلاح الدين ، وأصبح صاحب الأمر والنهى في البلاد [٢] . ثم تمكن صلاح الديث مـــن القضاء على الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـــ ، وكان نور الدين محمـــود يريـــد لصلاح الدين أن يفعل شيئاً آخر ، ولكن نور الدين تدركه الوفاة ، ويصبح لزامـــاً على صلاح الدين أن يوحد بين مصر والشام . يقول إبن تغرى بردى :" ثـــم إن

---

[١] نفسه ص ٥٩

[٢] انظر النجوم الزاهرة ط . ص ١٤

صلاح الدين بعد وفاة نور الدين ، علم أن ولده (أي ولد نور الدين)[1] الملك الصالح صبي لا يستقل بالأمر ولا ينهض بأعباء الملك ، واختلفت الأحوال بالشام ، وكاتب شمس الدين (محمد بن عبد الملك) بن المقدم صلاح الدين ، فتجهز صلاح الدين من مصر في جيش كثيف ، وترك بالقاهرة من يحفظها ، وقدم دمشق مُظهرا أنه يتولى مصالح الملك الصالح ."[2]

ثم استولى صلاح الدين على دمشق وحلب ولا نريد أن نطيل في جهود صلاح الدين العسكريّة فمما لا شك فيه أنه تمكن من كسر شوكة الصليبيين وهزمهم وكانت هزيمته لهم في حطين إيذاناً بانتهاء سلطانهم في الشام ، لكن الحروب الصليبية سواء في عهد صلاح الدين أو في غير عهده عملت على بث الحياة في الأدب وخصوصاً الشعر الذي نهض به من كبوته وارتقى رقياً كبيراً يقول محمد إبراهيم نصر : " لقد كانت الحروب الصليبيّة هي النفير العام الذي دوى فايقظ الشرق من رقدته ، ونبهه من غفلته ، ووحده بعد تفرقة ، وجمعه بعد شتاته ، وأعاده إلى الجد والصرامة بعد أن أضعفه الترف ، وأثملته الدعة ، وخدرته النعمة ." [3]

ويشير الباحث إلى تأثر الشعر الناجم عن مقاومة الصليبيين بهذه الحرب ورقيه في هذا المجال : " وبعثت الحروب الصليبيّة في الأدب الحياة ، وجددت فيه القوة ، فأذكت حواس الشعراء ، وألهبت مشاعرهم ،وأججت إنفعالهم ، وأمدتهم بالمعين الصادق من المعاني والأفكار ، فأصبح الشاعر لا يمدح إستجابة لدافع خارج عن شعوره ، او تحقيقاً لرغبة مفروضة عليه ، وإنما يستمد من نفسه

[1] الإضافة بين القوسين من عندنا

[2] نفسه ص ٢٤

[3] محمد إبراهيم نصر . ابن سناء الملك حياته وشعره . ط١ . تحقيق محمد إبراهيم نصر . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة ، ١٩٦٨ ص ٣١

الوحى والإلهام ، ويجد في قرارتها الحافز والدافع ، وتتلائم الصورة التى يرسمها مع ما ينطبع في النفوس جميعها ، من صورة البطل الذى يدافع عن الإسلام ويحمى المسلمين من وحشيّة هؤلاء المعتدين الباغين الظالمين ." [1]

ويرى الباحث أنّ أثر الحروب الصليبيّة كان كبيراً على الشعراء في فترة حكم الأيوبين : " غلب الشعر الحماسي على شعراء هذا العصر حتى أصبح طابعاً عاماً غلب على روحه ، فلا يكاد يخلو ديوان شاعر من شعراء هذه الفترة ، من ذلك الشعر الحماسي الذي يعكس في صدق صدى البطولات الرائعة في مقاومة الصليبيين ، وتلك الانتصارات الساحقة التى أحرزها عماد الدين زنكى ، ومن بعده نور الدين ، ثم صلاح الدين ." [2]

ومن نماذج الشعر الذى مدح به صلاح الدين ما قاله ابن سناء الملك في مدحه وتهنئته بفتح حلب في ٢٧ صفر سنة ٥٧٩هـ :

بدولة الترك عَزّتْ مِلّة العـرب   وَبِابْـن أيُّوبَ ذَلّـتْ شيعـة الصُلُـبِ

وفى زمان ابن أيُّوبٍ غَدَتْ حَلَبٌ   من أرض مصرَ وعادت مصر مِنْ حَلَبِ [3]

وهى قصيدة طويلة .

وقال ابن مطروح يهجو لويس التاسع ويسخر منه ، بعد أن أطلق المصريون سراحه من الأسر الذى كان مسجوناً به وهو دار القاضي ابن لقمان في مدينة المنصورة ، وأخذ يهدد بغزو مصر :

---

[1] محمد إبراهيم نصر . ابن سناء الملك حياته وشعره . ط١ . تحقيق محمد إبراهيم نصر . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة ، ١٩٦٨ ص ٣١

[2] نفسه ص ٣١

[3] ديوان ابن سناء الملك . ط٢ تحقيق محمد إبراهيم نصر . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة ، ١٩٦٩ ص ١

قل للفرنسيس إذا جئته	مقالَ صِدْقٍ من قئول فصيح
آجَرَكَ الله على ما جرى	من قتل عُبَّادِ يَسُوعَ .. المَسيح
أتيتَ مصرَ تبتغي مُلْكَها	تحسب أن الزمر يَاطبْلُ ريح
فساقك الحين إلى أدهم	ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكلُّ أصحابك أودعتهم	بحسن تدبيرك بطن الضَّريح
تِسْعُونَ ألفاً لا يُرىَ منهمُ	إلا قتيل أو أسير .. جريح
وَفَّقَكَ اللهُ لأمثالِهَا	لعلّ عيسى منكمُ يستريح
إن كانَ بَابَاكُمْ بذَا راضياً	فَرُبَّ غِشٍّ قد أتى من نَصيح
وقلْ لهم إنْ أضمروا عودة	لأخذِ ثار أو لِعقد ... صحيح
دار بن لقمانٍ على حالها	والقيدُ باقٍ والطَّواشي صُبيح [1]

وقد مدح صلاح الدين كثير من الشعراء مثل العماد الأصبهانى وسبط بن التعاويذى البغدادى . وابن سناء الملك المصري ، وابن عنين ، وابن النبيه ، والبهاء زهير ، وسبط بن الجوزى ، وابن مطروح – والقاضى الفاضل وغيرهم .

وليس صحيحاً أن هذا العصر الأيوبي كان عصر انحطاط ، فقد ازدهرت العلوم في الدولة الأيوبية ، لأنه أنشئت فيها المدارس ، وأوقفت عليها الأوقاف التى تضمن حياتها بعد موت منشئها ، كما عين بها المدرسون ، وأجريت الأرزاق على الطلبة والمعلمين القائمين بالتدريس فيها ، أو القائمين بأمر إدارتها ، وضمان استمرار المدارس في أداء وظيفتها بإنشاء الأوقاف التى ينفق منها عليها [2]

---

[1] محمود مصطفى . الادب العربي في مصر . ص ٢٧٧

[2] انظر نفسه ص٢٧٢

وكانت هذه المدارس في الأساس مدارس دينيّة ، ولكنها لكى تدرس الدين لابد أن تدرس اللغة والأدب ، مما أدى إلى ازدهار الأدب شعره ونثره .

أمّا الأزهر فقد اتخذ صلاح الدين منه موقفاً خاصًا ، لانه كان – في رأيه – مدرسة شيعيّة أنشئت لكى تدرس المذهب الشيعى الفاطمى ، ومن ثم منع أداء صلاة الجمعة به ، وقطع عنه كثيراً من الأموال التى كانت مخصصة للإنفاق عليه . فأصبح قليل الأهمية في الحياة الثقافية في ذلك العهد .[1] ويقول باحث آخر : " .. وقد استطاع صلاح الدين أن يقضى على كل أثر للفاطميين ودعوتهم في مصر . بما استحدثه من المدارس السُنّيّة التى انتشرت في كل مكان ، وحلت محل دار الحكمة ، أو دار العلم التى اعتمد عليها الفاطميون في نشر دعوتهم ، إلى جانب الأزهر والمساجد المختلفة ، وما ألحق بها من مكتبات .

وكان لهذه المدارس السُنّيّة فضل كبير في إزالة ما تَبقَّى من آثار العقائد الفاطمية في مصر من ناحية ، وفي إثارة المشاعر الدينيّة ضد الصليبيين من ناحية أخرى ، بواسطة العلماء والفقهاء الذين تصدوا لهذه المهمة الجليلة ، وقد بلغ عدد هذه المدارس خَمْساً وعشرين مدرسة في العهد الأيوبي ، وتابع المماليك الاهتمام بهذه المدارس ، فأنشأ الملك الصالح المدرسة الصالحيّة ، وكانت أشبه بجامعة تضم كليات لدراسة المذاهب الفقهية السنية الأربعة . كما أنشأ الظاهر بيبرس مدرسة عرفت باسمه في بين القصرين ، وزودها بمكتبة هائلة ، وجدّد الجامع الأزهر ، ورده إلى الحال التى كان عليها زمن الفاطميين فقصده الطلاب من جميع أرجاء العالم الإسلامى ." [2]

وقد كان صلاح الدين سنيا فمكن للمذهب السنى في مصر ، وكذلك فعل الملك الصالح ، كما كان المماليك الذين جلبهم الملك الصالح سنيين فعملوا على

---

[1] نفسه ص ٢٧٢

[2] محمود فهمى حجازى واخرون . العربيّة نصوص ودراسات . القاهرة ، ١٩٧٩ ص

ترسيخ دعائم المذهب السني في البلاد ، كما تحول الجامع الأزهر إلى مدرسة لدراسة المذاهب السنية الأربعة في عهد الملك الظاهر بيبرس . .

وقد عرف العصر الأيوبي بكثرة التأليف الموسوعى ، كما عرف عصر المماليك بذلك أيضاً ، فعندما هاجر علماء بغداد إلى مصر بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ شجعهم سلاطين مصر على التأليف الموسوعى إنقاذا للتراث الإسلامى من الضياع فألفوا كتباً كبيرة مثل : معجم لسان العرب لابن منظور الذي جمع فيه ستة معاجم أخرى هى : التهذيب للأزهرى ، وصحاح الجوهرى ، وحواشي ابن بري على الصحاح والمحكم ، والمخصص لابن سيده ، والنهاية لابن الأثير . وكتاب نهاية الأرب للنويرى في ثلاثين جزءًا ، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل العمرى الله في أربعة عشر جزءًا ، وكتاب صبح الأعشى للقلقشندى .(١)

وهذا يعنى أن هذا العصر الأيوبي وعصر المماليك الذي يليه لم يكونا من عصور التخلف الأدبي او العلمى فضلاً أن يكونا من عصور الانحطاط كما يرى " نلينو " .

ومن الفنون الأدبيّة التى ازدهرت في العصر الأيوبي فن " الموشح" الذي انتقل إلى مصر من الأندلس ويعرف ابن سناء الملك الموشح قائلاً : " .. الموشّح كلام منظوم على وزن مخصوص وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ، ويقال له التام ، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ، ويقال له الأقرع . فالتام ما ابتدى فيه بالاقفال ، والاقرع ما أبتدى به بالأبيات " (٢)

---

(١) نفسه ص ٢٥٢

(٢) ابن سناء الملك . دار الطراز . تحقيق جودت الركابى . الهيئة العامّة لقصور الثقافة . . القاهرة ، ٢٠٠٤ ص ٢٥

ويهمنا هنا ازدهار الموشح في العصر الأيوبي ، ومع ان الموشح فنهـا جديد ،إلا أنه لم يخلص تماماً من أسر الشعر العربـي القـديم الموحـد الأوزان والقوافي ، ولكنها محاولة لا تتحرر من القيود ، وإنما ترفع قيوداً لتضع بدلا منه قيوداً أخرى . لكن القيم الغزلية في الموشح والقيم العاطفية مستمدة في أغلبها من الشعر العربي القديم . ففيه الصد ، والتجنى والعُزّال والقطيعة ، كما أن بالموشح كذلك ما كان يشكوه المحب القديم من الشوق والضنى والهجر وغير ذلك . ولـم يلبث الموشح أن أصابه الجمود من ناحيتين : الشكل والتقليد .

تمكن صلاح الدين الأيوبي – كما قلنا – من إسقاط الدولــة الفاطميــة ، وإقامة الدولة الأيوبيّة على أنقاضها ، وكانت الظروف التى تمر بها البلاد تحــتم ذلك ، فالصليبيون في الشام قد أسسوا ممالك لهم وحاولوا غزو مصر أكثر مــن مرّة ، وكانوا يعتقدون – كما قلنا من قبل أيضاً – أن وضعهم في الشام لن يستقر إلا بالاستيلاء على مصر ، وظلت سياستهم هذه قائمة حتى بعــد قيــام الدولــة الأيوبية فقد غزوا مصر واستولوا على دمياط ووصلوا إلى مدينة المنصورة حيث دارت رحى معركة عسكريّة فاصلة هزم فيها الصليبيون ، وأسر ملكهــم لــويس التاسع ، ولم يطلق سراحهُ إلا بعد دفع فدية عظيمة .

وبموت الملك الصالح نجم الدين أيوب ثم قتل ولده توران شاه الذى كان الملك المنتظر لمصر من بعده ، انتهت الدولة الأيوبيّة ، وبدأ عصــر ســلاطين المماليك . وكان المماليك الذين جلبهم الملك الصالح شجعاناً وفرساناً عظاما . وقد انتهت الدولة الأيوبية سنة ٦٤٨ هــ .

ومن المعروف ان الملك الصالح الأيوبي استكثر من المماليــك ليكونــوا عدته في الحرب ، ورجاله إذا تعرض لمكروه ، وقــد كــانوا كــذلك ، وظلــوا خاضعين لسلطانه إلى أن مات ، وكانت مملوكتة كذلك ، وزوجته شجرة الدر قد

أخفت خبر موته حتى انتهت الحرب في مدينة المنصورة بين الصـــليبيين وبـــين الجيش المصري بقيادة فخر الدين بن شيخ الشيوخ وكان المماليك ضـــمن هـــذا الجيش فلما انتصر في هذه المعركة بعد أن كان قد هزم من قبل في دمياط ، وبعد أن تخلص المماليك من توران شاه بن الملك الصالح والوريث الشرعى للحكم في مدينة فارسكور . تمكنت شجرة الدر زوجته ومملوكته السابقة من تـــولى حكـــم مصر .

فكانت أول سلاطين المماليك ، ولكن الخلافة العباسية التى لم يكن لها إلا سلطان أسمى على مصر رفضت أن تكون أمرأة سلطانة على مصر ، وطالـــب الخليفة العباسي بعزلها ، فتركت السلطنة لعز الدين أيبك التركمان الذى كان أول سلاطين المماليك من الرجال .

وقد كان المماليك مسلمين حسنى الإسلام ، وقد أبلوا بـــلاء حســـنا فـــي المعارك العسكرية التى خاضوها ضد الصليبيين وضد المغـــول . وهنـــاك مـــن يتهمهم بأن إسلامهم كان مظهرياً وهو الدكتور محمد زغلول ســـلام [1] ، وهـــى مسألة فيها نظر ، لان مواقف قطز وبيبرس وغيرهم كانت تكشف عـــن إســـلام صحيح ورغبة صادقة في الدفاع عنه .

---

[1] محمد زغلول سلام . الادب في العصر المملوكى . دار المعارف . القاهرة ،١٩٧١. ص١٦

والواقع أن اعتبار المماليك ممن يهتمون بأمور الدين اهتماماً مظهرياً امر لا يمكن قبوله على إطلاقه ، فالمماليك كانوا يقربون العلماء ، وينشئون المساجد والمدارس ، ويحترمون جميع المظاهر الدينيّة وذلك رغم إسرافهم المالى ، وفرضهم الضرائب الثقيلة على الشعب المصري .

وقد اهتم سلاطين المماليك بإنشاء المدارس والمستشفيات وأقاموا المساجد ، ودافعوا عن حدود البلاد ، وتمكنوا من القضاء على الصليبيين ، وأخرجوهم من الشام .

ومع كل ما ينسب إلى المماليك من أمجاد فإنهم كانوا يظلمون الناس ويعتدون على حرماتهم ، وربما بطشوا بالناس وقتلوا منهم مالا يحصى لأسباب لا تستحق ذلك ، وكانوا يغتصبون الأموال من الناس بغير وجه حق .

وقد تنبه ابن خلدون إلى أن الدول التى ورثت العلم بعد سقوط بغداد كانت زاخرة بالعلم ولم تكن دولاً متخلفة أو منحطة في المعارف وهو يشير إلى دول المشرق فيقول : " أما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه ، بل أسواقه نافقة ، وبحوره زاخرة ، لاتصال العمران الموفور ، واتصال السند فيه ، وإن كانت الأمصار العظيمة التى كانت معادن العلم قد خَرِبَت ، مثل بغداد والبصرة والكوفة ، إلا أن الله تعالى قد أدال منها بأمصار أعظمَ من تلك ، وانتقل العلم منها

إلى عراق العجم بخراسان ، وما وراء النهر من المشرق ، ثم إلى القاهرة ومـا إليها من المغرب ، فلم تزل موفورة ، وعمرانها متصلاً ، وسند التعليم بها قائماً ، فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم ، وفي سائر الصنائع " [١]

ويتحدث ابن خلدون هنا عن أنّ مصر قد أصبحت موئلا للعلوم في ذلـك العصر هي وأقاليم أخرى لم تكن كذلك من قبل . ويوضح ابن خلدون المـذاهب الدينية الأربعة والأمصار الإسلامية التى انتشرت فيها ، ويتحدث عن مذاهب أهل السنة في مصر ، ثم عن انتشار الشيعة بها وكيف قضى صـلاح الـدين علـى مذهبهم قضاء تاماً .

ثم يتحدث عن انتشار مذاهب أهل السّنة ، او عن أئمة هذه المـذهب : " الأئمة الأربعة ، فأما احمد بن حنبل ، فمقلّده قليل لبعد مذهبه عـن الاجتهـاد ، وأصالته في معاضدة الرواية ، وللأخبار بعضـها بـبعض ، وأكثـرهم بالشـام والعراق من بغداد ونواحيها ، وهم أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية الحديث ، وأمّا أبو حنيفة فقلده اليوم أهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهـر وبـلاد العجم كلها لما كان مذهبه أخص بالعراق ودار السلام [٢]ويتحدث عن الشـافعى وانتشار مذهبه بمصر والعراق وخراسان وما وراء النهـر : " وأمـا الشـافعيّ

---

[١] مقدمة بن خلدون . ط ٤ . دار القلم . بيروت لبنان ، ١٩٨١ ص ٤٣٢

[٢] نفسه ص ٤٤٨

فمقلدوه بمصر أكثر مما سواها ، وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان ، وما وراء النهر ، وقاسموا الحنفيّة في الفتوى والتدريس في جميع الأمصار ، وعظمت مجالس المناظرات بينهم .... وكان الإمام محمد بن إدريس الشافعي لمّا نزل على بني عبد الحكم بمصر أخذ عنه جماعة ...... ثم انقرض فقه أهل السُّنَّةَ من مصر بظهور دولة الرافضة ، وتداول بها فقه أهل البيت وتلاشى من سواهم إلى أن ذهبت دولة العبيدين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب ورجع إليهم فقه الشافعي وأصحابه من أهل العراق والشام ، فعاد إلى أحسن ما كان ونفقت سوقه " [1]

وأما مالك رحمة الله فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس ، وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل [2]

وواضح أن الفترة التي قامت فيها الدول المستقلة ، ويهمني هنا الدولة الفاطمية والأيوبيّة ودولة المماليك كانت فترة انتقل فيها مركز الثقل إلى بلاد غير العراق ومن هذه البلاد مصر ، وهذا ما يشير إليه ابن خلدون .

وكان ضعف خلفاء الدولة العباسية سبباً في انقسام الدول التابعة لهذه الخلافة ، فقد قتل المتوكل ، كما قتل المعتز بعد ذلك ، وقتل عبد الله بن المعتز

---

[1] نفسه ص ٤٤٨، ٤٤٩

[2] نفسه ص ٤٤٩

كذلك لقد أصبحت مقاليد الخلافة في يد غير الخلفاء ، وأصبحوا يخلعون ويقتلون .

وكان ضعف سلطان الخلافة واستقلال الأقاليم شرًّا على الخلافة خيراً على الأدب ، لأن حكام الأقاليم كانوا يشجعون من قبلهم من الشعراء والأدباء أو من يأتيهم وافداً من أقاليم أخرى . ، فازدهر الشعر بل الأدب بعامّة . ولو ضربنا مثلاً بالمتنبي الذي عاش في بلاط سيف الدولة بن حمدان تسع سنوات ، ثم أغراه كافور بالذهاب إليه على أن يمنحه ولاية ، فلما ذهب إليه أكرمه وأغدق عليه . كل هذا يدلنا على الأهميّة التى لقيها الشعراء في بلاط أمراء تلك الدول المستقلة عن الخلافة العباسية . وهذا يدلنا أيضاً على ان أمور الأدب شعره ونشره في الدول المستقلة الأخرى كالفاطمية والمملوكية ومن قبلها الأيوبية لم تكن من السوء والتخلف ليطلق عليها عصور الانحطاط فلم يكن الادب والعلم والشعر منحطاً في هذه العصور .

العصر الحديث

والعصر الحديث الذي يبدأ بحكم محمد عليّ يخلف عصراً يوصف بالجمود هو العصر التركى ، والعصر التركى بنظامه الإدارى المتخلف القائم على الجباية وفرض الضرائب والوالى الذي لا يبقى في الولاية أكثر من عامين ويريد أن يحصل ما دفعه كرشوة لكى يكون والياً ، وحرصه على أن يحقق من الغنائم أكثر مما دفع قبل مجيئه إلى الولاية . والفساد في قصر الخلافة في تركيا . وغيرها من الأمور الأخرى ، كعزل هذه البلاد عن الحضارة العالميّة ، وعدم الاهتمام بالعلم والمعرفة وغيرها . كل هذه الأسباب ادت إلى إلحاق الضرر بالشعب المصرى لفترة طويلة من الزمن .

وهناك من يرى أن الحملة الفرنسية هى بداية العصر الحديث في مصر ، لأنها أيقظت الشعب المصرى على حقيقة التخلف والظلم الذي يرزح تحته . فقد ثار الشعب المصري على الحملة الفرنسية مرتين ، كما أنّ زعماء الشعب أرادوا أن يجعلوا الحكم للشعب المصرى ، لكنهم في النهاية سلموا الحكم لمحمد علی الذي غدر بهم ، وانفرد بحكم الشعب حكماً ديكتاتورياً .

وهناك من يرى أن الحملة الفرنسية كانت حملة استعمارية ولم يكن يهمها تحرر الشعب المصري ولا تقدمه ، ومن ثم لم يكن لها أثر يذكر علـــى الشـــعب المصري .

ولابد من الإشارة هنا إلى أنّ الحرب بين المماليك وبين الفرنسيين كشفت عن حضارتين مختلفتين حضارة غربية ناهضة علمياً وحضارة مصرية متخلفة ، إذ يحارب نابليون بالمدفعية والبنادق ،بينما كان المماليـــك يحـــاربون بالســـيوف والرماح كما كان الناس يفعلون قديماً . وكان من الطبيعى أن ينهزم المماليك رغم الكفاح المرير وإخلاصهم للوطن الذي يحكمونه .

وقد وعى محمد على الدرس فعزم على أن يستفيد من المنجزات الحربيّة والعلمية للحضارة الغربية ، فأنشأ المدارس ، وبخاصّة المدارس العاليـــة . مثـــل مدرسة الطب ، ومدرسة المهندسخانة ، ومدرسة الصيدلة ، وغيرها من المدارس العالية ، وأرسل البعثات إلى أوربا حلا للصعوبة التى واجههـــا عنـــدما اســـتقدم مدرسين أجانب للتدريس للطلبة المصريين . وقد آتت هـــذه البعثـــات ثمارهـــا ، وتمكن محمد على من إنشاء المصانع لصنع الأسلحة ، كما أنشأ ترسانة بحريّة ، وامتلك أسطولاً ضخماً ، وتمكن محمد على من الرقى بالزراعة ، وبنى القنـــاطر

الخيرية على النيل . وباختصار استطاع محمد على أن ينهض بمصر نهضة كبيرة ، وأن يدخلها إلى العصر الحديث .

ويظل الأمر على هذا النحو حتى يوقف الغرب نمو الدولة المصريّة ويقتصر حكم محمد على وأولاده على مصر ، ويتوالى أولاد محمد على على حكم مصر حتى ينتهى الأمر إلى توفيق بن محمد على الذي يصطدم بالثورة العرابيّة ، وينحاز إلى الاستعمار ، ويدخل الاستعمار البريطانى إلى مصر بعد هزيمة عرابي وأعوانه .

وتظل مصر تحت حكم هذه الأسرة العميلة للإستعمار الذى ترى فيه حامياً لها حتى ٢٣/ يوليو ١٩٥٢ حيث تطيح هذه الحركة بآخر ملوكها فاروق الأول .

ولكن الشعب المصري كان قد اتصل بالحضارة الغربيّة ولم يتوقف عن الاتصال بها وبدأت حركة شعبية وطنية تنشيء المدارس والجامعات بجهود المخلصين من أبناء مصر وبأموالهم فأنشأت كلية الآداب جامعة القاهرة ، وكانت قد انشئت كلية أهلية سنة ١٩٠٨ ثم تحولت إلى حكومية سنة ١٩٢٥ .

ثم توالى إنشاء الكليات إلى أن أصبحت مصر تمتلك عددًا كبيرًا منها .

وكانت البعثات إلى أوربا لا تنقطع ، سواء في الآداب أو العلوم أو غيرها من التخصصات مما هيأ لنشأة أجيال من الطلاب يتتلمذون على أساتذة مصريين مخلصين ومرموقين . وقد استعانت مصر في أول الأمر بالأساتذة الأجانب في مجالات العلم والأدب المختلفة وقد استفاد من جهودهم الطلاب المصريون.

وقد عرفت مصر الصحافة مع الزمن، وكان للصحف آثارها على الكتابة وعلى الشعر وعلى الفكر كذلك . وقد ظهرت المجلات الأدبيّة والعلميّة . ويمكن القول إن دخول المطبعة وإنشاء الصحف كان فتحاً عظيماً في العصر الحديث . إذ ساعد هذا علي إحياء التراث العربي القديم شعراً ونثراً ، كما عرف المصريون الترجمة ونحن نعلم أن أيّ نهضة ادبيّة تعتمد على هذين الجانبين . الترجمة ، وإحياء التراث حيث تعتصم الأمة بتراثها حتى لا تذوب في غيرها وبخاصة وأنها كان معرضة للغزو الأجنبى ، أمّا الترجمة فهى وسيلة للاتصال بأفكار الأمم التى سبقتنا في مضمار الحضارة .

اتجاهات الشعر العربي

اتجاهات الشعر العربي متنوعة منها الاتجاه الوجدانى والاتجاه الاجتماعى ، والاتجاه السياسي . والاتجاه الأخلاقى والدينى .

والاتجاه الوجدانى ينسب إلي الوجدان ، فالوجدان فى المعجم القديم يأتى بمعنيين : الأول : الغَضَب : تقول : وَجَد عليه يجد وجداً وموجدة ووجدانا وجدة أى غضب عليه .

الثانى : وَجَدَ به وجداً في الحب لا غير ، أى أحبه ، وفلان يجد بفلانـــة وجداً شديداً إذا كان يهواها .[1] ولكن كلمة وجـــدان عنـــد الرومانســـيين العقـــاد والمازنى وشكرى كانت تعنى التعبير عن المشاعر ، وربما نضيف إلـــى ذلـــك التعبير الصادق عن النفس الذي يبتعد عن التقليد والمحاكاة . ولذلك قال العقاد :

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان

وهكذا أصبحت كلمة الوجدان تعنى التعبير عن المشاعر لـــدى الشـــعراء الرومانسيين ، ومن ثم رأى الدكتور عبد القادر القط أن كل شـــعر يعبـــر عـــن العواطف هو شعر وجدانى ، وتتبع هذا الشعر الوجدانى في العصر الحديث مطلقاً عليه اسم " الاتجاه الوجدانى في الشعر العربي الحديث ، ورأى أن تسمية الشعر

---

[1] انظر لسان العرب مادة وجد ص ٤٧٦٩ ، ٤٧٧٠

الوجدانى العربي باسم الرومانسية ليس دقيقاً وإن كان الإتجاه الرومانسي العربي والاتجاه الرومانسي الغربي متشابهين ، ومن الأفضل أن نطلق على الرومانســية العربية اسم الاتجاه الوجدانى ، ومن ثم بدأ بذكر ارهاصات هــذا الاتجــاه عنــد البارودى .[1]

[1] دكتور عبد القادر القط . الاتجاه الوجدانى في الشعر العربي الحديث

الاتجاه الوجدانى

يمكن القول إن الشعر العذرىّ ، كان شعراً وجدانياً فقد كـــان أصـــحابه يتغنون مشاعرهم وما يلقونه من المعاناة بسبب عاطفة الهوى التى ملكت علـــيهم نفوسهم .

ونبدأ حديثنا في الاتجاه الوجدانى عِنْدَ مجنون ليلى أو قيس ابن الملوح ، وكان يهوى ليلى بنت مهدى بن سعد . وكان كل منهما يعشق صاحبه مـــذ كانـــا صبيين يرعيان مواشي أهلهما عند جبل التوباد إلى أن كبرا .

وكان كثير الذكر لليلى والزيارة لها ، حتى عرف بحبه لها ، وأنشد فيها الأشعار ، وكان الشاعر الذي يقول شعراً في إمرأة يحبها يحرم من الاقتران بها . وقد حظر عليه الإلمام بديارها .[1]

" وصار عشقه حديث الناس ، وأنشد فيها الأشعار ، والعرب تعــد ذلـــك مدعاة للمنع والتفريق والحرمان ،فلما علم أهلها بغرامة وأشـــعاره منعـــوه مـــن زيارتها ، فكاد يهلك أسى وحسرة ، واجتمع إليه قومه ولاموه على مـــا يصـــنع

---

[1] ديوان مجنون ليلى . تحقيق عبد الستار فراج . مكتبة مصر . القاهرة ، ١٩٧٩ ص ٩
وانظر حديث الأربعاء . جـــ ١ . ط ١٣ . دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦ ص ١٨٠ ، ١٨١ حيث ينكر وجود هذا الغزل جملة

بنفسه ، وقالوا والله ما هى لك بهذه الحال ، فلــو تناســيتها رجونــا أن تســلو قليلاً ."[1]

وينقل رواة الأدب اخبارا عن المجنون تجعل حبه لها ضرباً من الجنون حقاً فهو لا يرى فيها شيئاً إلا رآه جميلاً ، ويتضح هذا من الحوار الذي يدور بين المجنون وبين بعض النسوة اللاتى أردن أن يزهدنه فيها ، لينصرف إلى إحداهن وهو حوار يستحق التسجيل : " وجلس نسوة إلى المجنون فقلن له : مــا الــذي دعاك إلى ان أحللت بنفسك ما نرى في هوى ليلى ، وإنما هى إمرأة من النساء ؟ هل لك في أن تصرف هواك عنها إلى إحدانا ، فنجزيك بهواك ، ويرجع إليك ما ضاع من عقلك ، ويصح جسمك ؟ فقال لهن : لو قدرت على صرف الهوى عنها إليكن لصرفته عنها ، وعن كل أحد بعدها ، وعشت في الناس مستريحاً ، فقلــن له : ما أعجبك منها ؟ فقال : كل شئ رأيته وشاهدته وسمعته منها أعجبنى ، والله ما رأيت شيئاً منها قط إلا كان في عينى حسناً ، ولقد جهدت أن يقبح منها عندى شئ أو يسمج أو يعاب لأسلو عنها فلم أجده ." [2]

---

[1] ديوان مجنون ليلى . تحقيق عبد الستار فراج . مكتبة مصر . القاهرة ، ١٩٧٩ ص ٩
وانظر حديث الأربعاء . جـ ١ . ط ١٣ . دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦ ص ١٨٠ ، ١٨١ حيث ينكر وجود هذا الغزل جملة

[2] نفسه ص ١٢

وهى أخبار تصور مدى تعلق قيس بليلى وتمسكه بها ، وعلى تمسكه الجنونى بحبها ، وهى في الطرف الآخر لا تستطيع أن تصنع له شيئاً ، لما كان يعوقها عن ذلك من العرف والتقاليد ، رغم أنها كانت تحمل له من الحب ربما أضعاف ما يحمل لها .

وقد أهدر السلطان دمه فيما يقال ، ولكن قوم ليلى لم يكونوا ليتركوا الأمر على هذا الحال ، إذ سرعان ما أتى الخاطبون لليلى فاختاروا لابنتهم واحداً منهم وهو رجل من ثقيف يقال له " ورد " ، وخيروها بينه وبين قيس وهى تعلم أنهم لا يريدون إلا ورداً فاختارته مكرهة ، وتزوجته .

وظل قَيْسٌ مشرداً ، فاقداً لصوابه حتى مات .وقد أنكر بعض المعاصرين وجود " قيس" جملة ، ونفى الأخبار الواردة حوله : " لست أشك في أن عمر بن أبى ربيعة شخص تاريخى ، وفى أن أكثر الشعر المنسوب إليه صحيح صدر عنه حقاً ، وأن شخصيته كانت في عصره كما نتمثلها نحن الآن ، أو على نحو ما نتمثلها الآن ، وكذلك قل في " كثير " وكذلك قل في عبيد الله بن قيس الرقيات ، ولكنى أشك الشك كله في أن يكون قيس بن الملوح شخصاً تاريخياً وجد وعرفه الناس واستمعوا إليه ، وفي أن يكون هذا الشعر المنسوب إليه صحيحاً قد صدر عنه حقاً ، وأزعم أن قيس بن الملوح خاصّة إنما هو شخص من هؤلاء

الأشخاص الخياليين الذين تخترعهم الشعوب لتمثيل فكرة خاصّة ، أو نحو خاص من أنحاء الحياة ، بل ربما لم يكن قيس بن الملوح شخصاً شعبياً " كجحا " ، وإنما كان شخصاً اخترعه نفر من الرواة ، وأصحاب القصص ليلهو بــه النـــاس ، أو ليرضوا به حاجة أدبيّة أو خلقية سنعرض لها بعد قليل ."[1]

ولا يتجاوز طه حسين في هذا الذي ذكره من شك في وجود قيس ، ومن شك في الشعر المنسوب إليه ، ما ذكره أبو الفرج الاصبهانى في مطلع حديثه عن مجنون بنى عامر ، ويذكر أبو الفرج أيضاً خبراً عمن يقول : سألت بنى عـــامر بَطْنًا بطناً عن مجنون بنى عامر فما وجدت أحداً يعرفه ."[2] فهذا الخبــر الــذى يذكره أبو الفرج يشكك في وجود مجنون بنى عامر جملة ، ولا يكتفى أبو الفرج بذلك بل يذكر خبراً آخر عن أحد بنى عامر قبيلة المجنون يقول فيـــه : " قلــت لرجل من بنى عامر : أتعرف المجنون ، وتروى من شعره شيئاً ؟ قال : أو قــد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى أشعار المجانين ، إنهم لكثير ، فقلت : لــيس هؤلاء أعنى ، إنما أعنى مجنون بنى عامر الذى قتله العشق ، فقال هيهات ، بنو

---

[1] طه حسين . حديث الأربعاء . جـ ١ . ط ١٢ . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧٦ ص ١٧٥
[2] الأغانى . جـ ٨ ، تحقيق إبراهيم الإبيارى . دار الشعب . القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٤٢٠

عامر أغلظ أكبادًا من ذاك ، وإنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبهـــا ، السخيفة عقولها ، الصعلة رءوسها فأمّا نزار فلا ." [1]

وهذا الخبر الثانى الذي يسوقه أبو الفرج يعضد الخبر السابق عليه والذي ذكرناه آنفاً ، وهو إنكار الوجود التاريخى للمجنون ، ولكن هذا الخبر الثانى يكاد يكون دافعه العصبية بين اليمنيين والنزارين ، وإتهام اليمنيين بما لا يصح إتهامهم به .

ولا يكتفى أبو الفرج بذلك بل يضيف خبراً ثالثاً صريحاً فـــي أن أخبـــار المجنون وشعره موضوعه على لسان فتى من بنى أمية ، كان يهوى أبنة عم له ، ولا يريد أن يفضح سرهما ، ومن ثم وضع قصة المجنون ونسب إليه الأشعار :" حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بنى أميّة ، كان يهوى ابنة عم له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون ونسبها إليه ."[2]

ولا شك أن طه حسين قد تأثر بما ذكره أبو الفرج ، ويعترف في صراحة بذلك فيقول : " بل ماذا تقول في رجل يريد أبو الفـــرج الأصـــفهانى أن يـــروى اخباره لان شروط كتابه تضطره إلى ذلك ، فيعلن ويبالغ في الإعلان أنه يخـــرج

---

[1] المرجع نفسه ص ٤٢٠ ، ٤٢١

[2] نفسه ص ٤٢٢

من عهده هذه الأخبار ويتبرأ منها ، ويضيف هذه العهدة إلى الرواة الذين ينقل عنهم ." (١)

ويمضى الدكتور طه حسين في بيان أن شعراء الغزل العذرى قد اخترعوا اختراعاً من أجل أن يحققوا وجود الفن القصصي الذي يقوم بتسلية الجماعة ، ويقارنه بالفن القصصي الحديث : " وأنا أريد أن أقيم مكان قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح ، وجميل بن معمر ، وعروة بن حزام أشياء لا أشخاصاً ، أو بعبارة أدق ، أريد أن أقيم مكانهم شيئاً واحداً هو فن القصص الغرامى الذي أعتقد أنه ظهر ، أو على أقل تقدير ، قوى وعظم أمره أيام بنى أمية ، وأخذ يعظم شيئاً فشيئاً حتى كاد يكون فنا مستقلاً على نحو ما نرى من فنون القصص الغرامى في الأدب الحديث ، فليس يعيننى أن يكون شخص قيس بن الملوح تاريخياً أو غير تاريخى ، وإنما الذي يعيننى أن هناك قصة غرامية ، وهى قصة قيس بن الملوح ، وقصة غرامية أخرى هى قصة جميل ." (٢)

وإذا كان العقل يقبل أن يختلف الناس في اسم شاعر او وجوده ، فإنه يقف طويلاً أمام فكرة ان تتكون جماعة من الشعراء لتنظم أشعاراً أصيلة ذات

---

(١) حديث الأربعاء . جـ ١ ص ١٧٦

(٢) طه حسين ، حديث الأربعاء . جـ ١ . ص ١٨٢

جودة عالية ، وتنسبها إلى شعراء أو أشخاص آخرين لعلهم شعراء او لعلهم غير موجودين على الإطلاق ، لتتمكن من إقامة قصة غرامية .[1]

ولنا ان نتساءل لماذا لم تأت هذه القصص في صورة نثرية أو معتمدة على النثر كل الاعتماد ، ولماذا الشعر بالذات ؟ ولمّا كانت هذه الأسئلة يمكن ان يجاب عليها بالقول بأن هؤلاء الشعراء قد وجدوا حقاً ، ونظموا أشعاراً بالفعل ، ولكن الخيال الشعبي استطاع أن ينسج حولهم هذا القصص لتفسير ذلك الشعر[2] فإن الطعن بالانتحال أو عدم وجود الشاعر يكون أمراً سهلاً .

وقد اعتبر الدكتور شوقي ضيف هذه الأشعار المنسوبة إلى الشعراء العذريين ضرباً من الأدب الشعبي " .... ولعل هذا ما يلفتنا إلى أن هذا الغزل العذرى العفيف الذي شاع حينذاك إنما كان ضرباً من الأدب الشعبي المبكر في اللغة العربيّة ، فأصحابه مجهولون ، وقد صحبته أقاصيص كثيرة ، فلم يكن شعراً خالصاً ." [3]، ولكن نسبة هذا الشعر العذري إلى الأدب الشعبي لا يحل المشكلة .

---

[1] نفسه ص ٢١٨ ، ٢١٩

[2] نجيب محمد البهبيتي ، تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجرى دار الثقافة . الدار البيضاء . المغرب ، ١٩٨٢ ص ١٦٦ ، ١٦٧

[3] شوقي ضيف . التطور والتجديد في الشعر الأموى . طبعة ٥ ، دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧٢ ص ١٠٨

وعلى أيه حال فإن مجنون ليلى يمثل الشعر الوجداني ، كما يمثله العذريون الآخرون ، فشعره يصور الجانب العاطفي الصادق والعنيف في مواجهة حرمانه من المرأة التي يحبها ، ومما يدل على شدة صبابته قوله :

ذكرتك والحجيج لهم ضجيج بمكةَ والقلوبُ لها وَجيبُ

فقلت ونحن في بلدٍ حرامٍ به واللهِ أُخلِصتِ القلوبُ

أتوب إليك يارحمان مما عملتُ فقد تظاهرت الذنوبُ

فأما من هوى ليلى وتركي زيارتها فإني لا أتوبُ

فكيف وعندها قلبي رهينٌ أتوبُ إليكَ منها أو أُنيبُ ؟[1]

ونحن نراه في هذه المقطوعة لا يرى الحبَّ مما يمكن أن يتوب المرء عنه ، ولذا فهو يتوب عن الذنوب جميعاً إلا من حب ليلى وفي القطعة مشاعر عنيفة ، وإحساس مرهف .

وهناك مقطوعة اخرى تصور ما أثاره من هتاف الحمامة التي أثارت لواعجه ، وهو يقف فيما يشبه أن يكون أطلالاً ويرفض أن يسير مع صاحبه حتى يقف على اطلال دارها .

أألْ هَتَفَتْ يوماً بوادٍ حمامَةٌ بكيتَ ولم يَعْذِرْكَ بالجهل عاذرُ

---

[1] ديوان مجنون ليلى ص ٦٤

دَعَتْ ساق حُرٍّ بعدما علتِ الضُّحَى   فهاج لك الأحزان أن نــاح طــائــر

تُغَنَّى الضُّحَى والصبح في مُرْجَحنَّةٍ   كِثَافِ الأعالى تحتها الماء حــائــر

كأنّ لم يكن بالغَيْل أو بَطْن أيكــةٍ   أو الجَزْعِ من تول الأشاءة حاضِــرُ

يقول زيادٌ إذ رأىَ الحــيّ هَجَّــروُا   أرى الحيّ قد ساروا فهل أنت سائر؟

وإنى وإن غَــالَ التقــادم حَاجَتــيِ   مُلِمٌّ على أوطــان لَيلْــىَ فَنَاظِــرُ[1]

فنحن نرى بكاء الحمامة يثير أشجانه ويذكره بليلى ، حتى يذرى الــدمع كما يقال ، ويصر على أن يلم بأوطانها .

ومن أشعار الجميلة المشهورة قوله :

أيا هَجْرَ ليلى قد بلغتَ بِيَ المــدىَ   وزدت على ما لم يكن يبلغُ الهَجْرُ

عجبت لسعى الدهر بينى وبينهــا   فلما أنقضى ما بيننا سكن الدَّهْــرُ

فياحبها زدنــى جــوى كــل ليلــة   ويا سلوةَ الأيام موعدك الحَشْــرَ

وإنى لتعــرونى لذكــراك نفضَــةٌ   كما انتفض العصفور بلله القطــر

عسى إن حججنا واعتمرنا وحُرِّمتْ   زيارة ليلى أن يكــون لنا الأَجْــرُ

فمــا هــو إلا أن أراهــا فُجَــاءَةً   فأُبْهَــتُ لا عُرْفٌ لــدىّ ولا نُكْــرُ

---

[1] المصدر نفسه ص ١٢٥

فلوأنّ ما بِي بالحصى فَلَقَ الحصى وبالصخرةِ الصمّاءِ لا نصدَعَ الصَّخْرُ[1]

ويعتمد هذا الشعر على تصوير أحاسيس الشاعر ، وكيف أن هجرها قد بلغ غاية الضر والأذى ، ويعجب للدهر الذي يحمله مسئولية القطيعة بينه وبين محبوبته على سبيل الاستعارة ، ويعجب لأن الدهر احدث بسعيه هذه القطيعة ثم سكن بعد ذلك واستراح ونلاحظ الطباق بين سعى وسكن ، ثم يصبر على آلام الحب ، ويعلن أنّه لن يسلو حتى الحشر ، كما يذكر أثرها على نفسه عندما يتذكرها ويشبه انتفاضته لذكرها بانتفاضة العصفور المبتل الذي ينتفض ليزيل ما علق به من ماء المطر . ويصور رؤيتها على نفسه ومدى ما يصيبه من حيرة ويرى أن الجماد من حصى وَصَخْر لا يحتمل ما به من آلام الشوق والفراق . والقصيدة تنقل ما يدور في وجدان الشاعر من مشاعر حارّة عنيفة .

ومن روائعه في مخاطبة الطير للتعبير عن مشاعره تجاه ليلى :

شكوتُ إلى سرب القطا إذ مَرَرْنَ بي فقلتُ ومثلى بالبكـاء جَدِيـرُ

أسرب القطا هل من يعير جنـاحـه لعلى إلى من قد هويتُ أطيـرُ

فجاوبننى من فوق غُصْـنَ أراكـةٍ ألا كلنا يا مستعيـرُ ...مُعيـرُ

وأىُّ قطـاةٍ لم تُعـرِكَ جَنَاحَـهَـا فعاشت بِضُرٍّ والجناحُ كَسِيـرُ

[1] نفسه ص ١٣٠

وإلا فمن هــذا يــؤدى رسالــــة   فأشكــره ، إن المحــبَّ شكــور

إلى الله أشكو صَبْوَتِي بعد كربــتى   ونيران شوقى ما بهــن فتــور

فإنى لقاسي القلب إن كنتُ صابــراً   غداة غدٍ فيمــن يســيرُ تسيــر

فإن لم أمت غمَّــا وهمَّــا وكربَــةً   يعاودنى بعد الزفيــر زفيــر [1]

ومن قصائده الجميلة كذلك ، وهى قصيدة تكشف عن مهارة في استخدام الطير وهو هنا يستخدم الحمامة للتعبير عما يحسه هو من أسى وشوق : قوله :

وصاحت بوشك البين منها حمامة   تَغَنَّتْ بِلَيلٍ فــي ذُرَا ناعــمٍ نَضــرِ

على دوحةٍ يَستَنُّ تحــت أصولهــا   نَوَاقِعُ ماءٍ مَــدُّهُ رَصَــفُ الصَّخْــرِ

مطوّقةٌ طوقاً ترى في خطامــهــا   أصولَ سوادٍ مطمئنٍ علــى النحَــر

أرَنَّتْ بأعلى الصوت منها فَهَيجَتْ   فُؤَّاداً مُعَنَّى بالمليحــة لــو تَــدرّى

فقلت لها : عُودِى ، فلمّا ترنّمَــتْ   تبادرت العَيْنَانَ سَحاً علــى الصــدرَ

كأنَّ فؤادى حيــن جَدَّ مسيــرهــا   جَناحُ غرابٍ رام نهضاً إلى الــوكْــرِ

فودعتها والنار تقدحُ فــي الحشــا   وتوديعها عندى أمــر مــن الصبــر

ورحت كأنى يوم راحــت جمالهــم   سقيتُ دم الحياتِ حين انقضى عُمْرِى

أبيت صريع الحب دامٍ مــن الهــوى   وأصبح منزوع الفــؤاد مــن الصــدر

---

[1] ديوان مجنون ليلى ص ١٣٧

رمتني به الأيــام عن قــوسِ غِـرَّةٍ   بسهمين في أعشار قلبي وفي سَحْرِي
بسهمين مسمومين من رأس شاهق   وغودرت محَمَّرَ الترائــب والنّحــــر[1]

وهو ينطلق من وصف حاله عندما يودعها أو عندما ترحل وقد أصبح في حكم الميت . وكأنه صَرِيعُ سهام مسمومة ، أو سقى دم الحياة، وترك مضرجاً في دمائه . لكننا نلاحظ أن بكاء الحمامة يهيج أشجانه ويثير أحزانه ، ويسيل دمعــه مدراراً ، ويلجأ إلى التصوير من تشبيه وغيره .

ومن روائعه في وصف الطير قوله :

لقد هَتَفَتْ في جنح ليـل حمامــة   على فَنَنٍ وَهْنًا ، وإني لنائــمُ
فقلت إعتذاراً عنــد ذاك وإننــي   لنفسي فيما قد أتيـت للائــمُ
أأَزْعُمُ إنــي عاشــق ذو صبابـةٍ   بِلَيْلَىَ ولا أبكي وتبكي البهائم
كذبتُ وبيتِ الله لو كنتُ عاشقــاً   لما سبقتني بالبكاء الحمائــم

فهو حساس للغاية لبكاء الحمائم ويقارن بين موقفها وموقفه ويراها أكثر إخلاصاً منه – مع إخلاصه الشديد في هواه – في حبها

وأنت هنا لا تجد وصفاً جسدياً للمحبوبة في هذه الأبيــات . وإن كانــت توجد لديه أوصاف جسدية إلا أنها قليلة .

---

[1] نفسه ص ١٥٥ ، ١٥٦

ناجى (١٨٩٨ - ١٩٥٣ م)

إبراهيم نَاجِى شاعر رومانسي مصري . رقيق المشاعر ، رقيق الشّعر . وهو مشغول بعواطفه ككل الرومانسيين من الشعراء ومع أنه شاعر أصيل على مستوى عَالٍ من الشاعرية رغم ما قاله طه حسين في هذا المجال : " ونحن نكذب شاعرنا الطبيب إن زعمنا له أنّه نابغة ، بل نحن نكذبه إن زعمنا له أنّه عظيم الحظ من الامتياز ، وإنما هو شاعر مجيد تألفُه النفس ، ويصبو إليه القلب ، ويأنس إليه قارئه أحياناً ، ويطرب له سامعه دائماً ، فإذا نظرنا إليه نظرة الناقد المحلل الذي يريد أن يقسم الشعر أنصافاً وأثلاثاً وَأَرْبَاعاً ، كما يقول الفرنسيون ، لم يكد يثبت لنا أو يصبر على نقدنا ، وإنما يدركه الإعياء قبل أن يدركنا ، ويفر عنه الجمال الفنى قبل أن يفر عنا الصبر على الدرس والنقد والتحليل ."[1]

وهذا الذي يفعله طه حسين ليس نقداً أدبياً ، فليس بـه مـن النصـوص الشعريّة ما يكفى ، وإنما هى أبيات قليلة لا يمكن أن يصدر من خلالها حكماًعامّا كهذا على شاعر كإبراهيم ناجى .

---

[1] حديث الأربعاء . جـ ٣ . ط ١٠ . دار المعاف . القاهرة ، ١٩٧٦ ص ١٥١

ومع ذلك فظل شاعرنا ناجى ينظم الشعر واحتل مكانة كبيرة في تـاريخ الشعر العربي الحديث ولو أننا أخترنا أبياتاً من قصيدة ناجى الأطلال التى يقـول فيها :

يا فؤادِى رَحِـمَ الله الهـوى كان صَرْحًا من خَيَالٍ فَهَوىَ

اسقنى واشْرَبْ على أطـلاله وَارْوِ عَنِّى طالما الدمع روى

كيف ذاكَ الحبُّ أمسى خَبَـراً وأحاديث من أحاديثِ الجوى

وبساط مـن نـدامـى حلـم هـم تَوَارَوْا أبدا وهو انطوى

وهو وقوف جديد على الأطلال ، وهى أطلال هواه المنتهى ويعبر ذلـك عن أسلوب جديد في التعبير عن عواطفه . يقول :

لَستُ أنساكَ وقـد أغْرَيْتَنِى بِفَمٍ عـذبِ المنـاداةِ رقيـقْ

ويَدٌ تمتد نحوى .. كـيـدٍ من خلال الموجِ مُدَّتْ لِغَرِيقْ

آهِ ياقبلـةَ أقـدامـى إذا شَكَتِ الأقدامُ أشْوَاكَ الطـريقْ

وبريقاً يظمأ السـارى لَـهُ أين في عينيك ذَيَّاكَ البريـقْ

وهو في هَذَا النص يصور علاقته بحبيبته الراحلة ، وظمأه لهـذا اللقـاء الذى يتمنى أن تتحقق بينهما : ويقول أيضاً :

يا حبيباً زُرْتُ يومـا أيْكَـهُ طَائِرَ الشَّوْقِ أغَنِّى ألمِـى

لك إبطاءُ المُـدِلِّ المنـعـم وتَجَنِّى القَادِرِ .. المُحْتَكِـم

وحنينى لك يكـوى أعْظَمُي والثَّوَانى جمرات في دَمِـى

وأنا مرتقبٌ في مَوْضِـعِـى مرهفَ السَّمْعِ لِوَقْعِ القَـدَمِ

وهو هنا يصور حنينه إلى هذا الحبيب الذي انقطعت علاقته به وهو حنين يعذب الشاعر الذي يكتوى بمشاعره تجاه حبيبته . ويقول أيضاً:

أعْطِنِى حريتـى ، أطلـق يَـدَىَّ إننى أعطيت ما استبقَيْتُ شئ

آه من قيـدك أدْمَـى مِعْصَمِـى لم أبقيه ، وما أبقى .. علىّ ؟

ما احتفاظى بعهود لـم تَصُنْـهَـا ولم الأسـر والدنيـا لـدىّ

ها أنا جَفَّت دموعى فَاعْفُ عنهـا إنَّهَا قبـلَكَ لم تُبْـذَلْ لِـحَـىّ

وهنا لا يستطيع الشاعر أن ينسى حبيبه السابق وإن كان يتظاهر بالتخلى عن عهود ذلك الحبيب وبكائه لانقطاع ما بينهما من المودة : ويقول أيضاً :

يَاحَبِيبِى كل شيءٍ بقضاء مـا بأيدينـا خلقنـا تُعَسَـاء

ربما تجمعُنَا أقـدارنـا ذاتَ يـوم بعد مـا عَزَّ اللقاء

فإذا أنكـر خِـلٌّ خِلَّـهُ لا تقلْ شئنا وقل لى الحظُّ شاء

والقصيدة طويلة وإنما تخيرنا منها ما يمثل لشاعريّة الشـاعر إبـراهيم ناجى. ويصور الشاعر اغترابه في كثير من شعره وله قصيدة طويلة بعنوان : " في الظّلاَم" يقولُ :

أليلاَىَ مَا أبْقَى الهَوىَ فِيَّ من رَشَـدِ   فَرُدِّى على المُشْتَاقِ مهجتَهُ رُدىَّ

أيَنْسىَ تلاقينـا وأنْـتِ حـزينــةٌ   ورأسِكِ كابٍ من عَيَاءٍ وَمِـنْ سُهْدِ

أقول وقد وسدته راحتــى كـمـا   توسّد طفلٌ مُتْعَـبٌ راحـةَ المَهْـدِ

تعالَىْ إلى صَدْرٍ رَحيـبٍ وَسَاعِــدِ   حبيبٍ وركنٍ في الهَوَى غيرِ مُنْهَدِّ

بنفسىَ هذا الشَّعْرَ والخُصَـلَ التـى   تهاوتْ على نحر من العاجِ مُنْقَـدِّ

ترامتْ كما شَاءَتْ وشاءَ لها الهوى   تَميلُ على خَدٍّ وتصدُفُ عـن خَـدِّ

وتلك الكروم الدانيــات لِقَـاطِـفٍ   بياض الأمَانِى من عناقيدها الـرُّبْدِ

وهو هنا يخاطب محبوبته التى سلبته روحه وعقله ويصورها وهى فـي لقاء معه وكيف كانت حزينة ، ثم يصور بعض مظاهر جمالهـا مثـل شـعرها وعنقها ، وغير ذلك من مظاهر جمالها . غير أنه من الواضح أن هذا اللقاء لـم يكن سعيداً ثم يصور بكاءها وهى معه : قائلاً :

وما راعَ قلبى منـك إلا فراشــةٌ   من الدمع حامت فوق عرشٍ من الوَرْدِ

مُجَنَّحَةٌ صِيغت من النـور والنّدى   ترف علـى روض وتهفـو إلـى ورد

بها مثل ما بى ياحبيبى وسيــدى　　　من الشجنِ القتــالِ والظَّمَـأُ المــردى

وهو يجيد تصوير هذه الدموع ودلالتها فالدمعة فراشة تحط علـى خـد مورد ، لها أجنحة صيغت من النور والندى ، تطوف على حقل من النوُر وهـو الخد أو الوجه ، وأما الورد الذي تحط عليه فهو الخد وهذه الفراشة بها حزن قاتل لا يقل عن حزن الشاعر نفسه .

فالشاعر الرومانسي مشغول بتصوير عواطفه تجاه حبيبته . ويقول في القصيدة نفسها مصوراً إحساسه بالضياع لفراق محبوبته : ولعل المحبوبة هنا رمز لمصر :

أيا مصرما فيـك العشيــة سَــامَــرٌ　　　ولا فيك من مُصْغٍ لشاعــرك الفَرْدُ

أهاجرتى طال النوى فارحمى الذي　　　تَرَكْتِ بَديدَ الشَّمْــلِ منتثــر العقــد

فقدتك فقــدان الربيــع وَطِيــبِــه　　　وعدت إلى الإعياء والسقم والوجــد

بعَينيك استهدى فكـيف تركــتنــى　　　بهذا الظلام المطبق الجهم استهــدى

وهو بدون المرأة لا يجد نفسه ولا يعرف طريقه ، وهو بــدونها ضـال يعيش في ظلام مطبق ، وهى الربيع فارقه ، فعاد الإعياء والسقم والوجد إليه.

والمرأة غير مفهومه له ، لأنها تجمع المتناقضات ، يقول :

أرى فــي عمق خاطــرك　　　جَــلالاً يشبــه البَحْــرَا

وألــمــح فــي نواظــركِ صفاء الرحمة الكبــرى

* * *

وأنــتِ رِضــىً وتَقْــبِيــلُ وأنــتِ ضَــنًى وَحِرْمَانُ

وفــي عــيـنـيـكِ تَقْتِيــلُ وفي البَسَمَــاتِ غُفْــرانُ

* * *

وأنــت تَهَــلُّــلُ الفَــجْــرِ وبَسْمَــتُــهُ علــى الأُفُــقِ

وَحِــينًــا أنَّــةُ الــنــهــرِ وَحُزْنُ الشمسِ في الغَسَــقِ

* * *

وأنْــتِ حَــرَارَةُ الشَّــمْــسِ وأنْــتِ هنــاءَةُ الــظِّــلِّ

وأنْــتِ تجــاربُ الأَمْــسِ وأنْــتِ بَــرَاءَةُ الطِّــفْــلِ

* * *

وَأنْتِ الحــســن ممتنــعــاً تحــدَّى حُصْنُــهُ النَّجْمَــا

وأنــتِ الخــيــرُ مُجْتَمِعــاً وعندكِ عَرْشُهُ الأسمــى

* * *

وَعِنْــدَكِ كُــلُّ مَــا أظْــمَــا ورَدَّ القَلْــبَ لَــهْــفَــاتَــا

وعندكِ كُــلُّ مــا أدمــى وزاد الجُــرْحَ إثْخَــاتَــا

* * *

وعنـــدك كــلُّ مــا أحيــا وشــدَّدَ عــزمــة الــوَاهِي

حنـانَـكَ نصـرَةُ الـدنـيـا   وقـربـك نعـمـةُ اللـهِ

والمقطوعة تشهد بقدرة الشاعر الفنية ، ودور المرأة في حياته . ويقـول في قصيدته " وداع " :

هل رأى الحُبُ سكارى مثلنا   كم بنينا من خيالٍ حـولنا

ومشينا فـي طـريق مُقْمـرِ   تثب الفرحةُ فيه قبـلنـا

وتطلـعـنـا إلـى أنجُـمـهِ   فتهاوين وأصبحـن لنـا

وضحكنا ضِحْكَ طفلَيـنَ مَعـاً   وعدونا فسبقـنا ظلـنـا

* * *

وانتبهنا بعدمـا زال الرحيـق   وأفقنا ليـت أنا لا نفيـق

يقظةٌ طاحت بأحـلام الكـرى   وتولىَّ الليلُ والليل صَديق

وإذا النـور نذيـرٌ طـالـع   وإذا الفجـر مُطِلٌّ كالحريقِ

وإذا الدنيـا كـمـا نعـرفُهَـا   وإذا الأحبابُ كل في طريقِ

* * *

هات أسعدنى ودعنى أسْعِـدُكْ   قد دنا بعد التدانـى مـوردك

فأذقـنـيـه فـإنـى ذاهـب   لا غدى يرجى ولا يرجى غدك

وأبلانـي مـن ليـالـيَّ التـى   قـرَّبَتْ حيـنـى وراحت تبعدك

لا تــدعـنــي لليــالــي فــغــدًا تجرَحُ الفرقَــةُ ما تأســو يــدك

وهى قصيدة تصور عواطف الشاعر وهو يودع حبيبته . ويصور الجــو الذي ودعها فيه . وفيه إحساس الشاعر بأنه لن يحقق ما يريد مــن حبــه ومــن حبيبته .

وهذا الاتجاه هو اتجاه واسع في الشعر العربي ، يقوم علــى الاغتــراب والتعبيز عن النفس والعواطف واستخدام الطبيعة لتجسيد مشاعرالشعراء .

ب – الاتجاه الاجتماعى

ويضم هذا الاتجاه ثلاثة شعراء أحدهم هو الشاعر الجاهلى عروة بن الورد ، والثانى : أبو العلاء المعرى الشعر العباسي المعروف، والثالث : الشاعر الحديث حافظ إبراهيم .

ويتميز عروة بن الورد بنزعة إنسانية فضلاً عن إتجاهه الاجتماعى ، فهو ينشد الغنى فراراً من الفقر ، وتلومه زوجته لما يقوم به من سعى للحصول على المال . ثم إتلافه لذلك المال . وهو أمر يتم لأكثر من صعلوك مثل عروة بن الورد الذي كان يسمى عروة الصعاليك .

لكن من هم الصعاليك إنهم رجال خلعتهم قبائلهم ، أو خرجوا هم على قبائلهم لأسباب متعددة ، ولسوء حياتهم ورغبة منهم في الحياة ، سنوا لأنفسهم مذهباً في الحياة وهو ألا يسألوا الأغنياء ، وإنما يأخذون منهم ما يريدون بالقوة .

ولا أسأل الوغد اللئـــيم بعيــره

وبعران ربـــي في البـــلاد كثيـــر

فهم لا يسألون وإنما يأخذون ما يريدون غَصْباً. ويعرف الدكتور يوسف خليف الصعلوك بقوله :"...إن الصعلوك في اللغة هو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة ،ولاعتماد له على شيء أو أحد يتكئ عليه،أو يتكل

عليه ليشق طريقه فيها ، ويعينه عليها ، حتى يسلك سبيله كما يسلكه سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة ، ويواجهون مشكلاتها يداً واحدة ، أو هو – بعبارة أخرى – الفقير الذي يواجه الحياة وحيداً ، وقد جردته من وسائل العيش فيها ، وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه في مواجهة مشكلاتها . فالمسألة إذن ليست فقراً فحسب ، ولكنها فقر يغلق أبواب الحياة في وجه صاحبه ، ويسد مسالكها أمامه . "[1]

وهو هنا يناقش معنى كلمة الصعلوك لغوياً ، وقد كان هؤلاء الصعاليك أقوياء كما كانوا فرساناً ، وقد أحَسُّوا بالظلم في مجتمعاتهم التى لا تقيم للعدل وزناً ، ولا تنظر إليهم إلا باعتبارهم خارجين على المجتمع : " وينظر هؤلاء الصعاليك الأقوياء إلى المجتمع الذي يعيشون فيه – فإذا هو مجتمع ظالم ، وإذا توزيع الثروة فيه توزيع جائرٌ مضطرب ، إنه مجتمع لا يؤمن إلا بالمال ، ولكنه مع ذلك لا يجسر على توزيع المال بين أفراده ، فليس من العدل ان يكون لأحد أفراده عدد ضخم من الإبل في حين لا يملك الآخر غير حبل يجرره لا بعير فيه وما هذه الإبل التى يملكها هذا الفرد سوى إبل الله خلقها للناس جميعاً، فهى ليست حقاً له وحده دون غيره من خلق الله في هذه الأرض ."[2]

---

[1] يوسف خليف . الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلى. ط ٤ .دار المعارف١٩٨٦ .ص ٢٣
[2] نفسه ص ٤٦

ومن المعروف أن الصعاليك كانوا يغيرون على الأغنياء فيسرقون إبلهم وانهم كانوا يتعاونون على ذلك ، ثم هم يَقْتَسِمُونَ ما اغتصبوه من أولئك وكأنّه حق لهم . وكان عروة بن الورد معروفاً بكرمه وشجاعته ، وكان يدرك أن الفقر مذلة ولذا كان يغير على الأغنياء للحصول على ما يريد . وكانت امرأته تخاف عليه الموت أو القتل من جراء ذلك فيجيبها بقوله :

أقلّـــيَّ علـــيَّ اللومَ يابنَةَ مُنْــذِرِ	ونامى، وإن لم تشتهى النوم فَاسْهَرِى
ذَرِينِى أطوّفْ فـــي البلاد لعلنـــى	أخلِّيك أو أغنيـــك من سوء محضر
أبى الخَفْضَ من يغشاك من ذي قرابَةٍ	ومن كل سوداءِ المعاصم تعترى
ذَرِينِى ونفسي أم حسَّـــان إننـــــى	بهـــا قبـــل ألا أملك البيعَ مشترى
أحاديث تبقى والفتـــى غيـــر خالدٍ	إذا هو أمْسَى هامَـــةً فوق صَيِّـــرِ
تجاوب أحجـــار الكناس وتشتكـــى	إلى كل معروف تراه .. ومُنْكَـــرِ
فإنْ فاز سهم للمنيَةِ لم أكن جزوعاً	وهل عن ذلـــك مـــن .. متـــأخَّرَ[1]
ألـــم تعلـمـــى يأم حَسَّـــانَ أنّنَـــا	خليطاً زيالٍ ليس عن ذلك مَقْصَرُ
وأن المنـــايـــا ثغر كـــلِ مَنِيَّـــةٍ	فهل ذاك عما يبتغى القوم مُحْصِرُ[2]

---

[1] الشعراء الصعاليك ص٢٧٠،وأنظر ديوان عروة بن الورد . دار صادر.بيروت ص٣٥،٣٦

[2] ديوان عروة . ص ٢٧١

وهي قصيدة يفخر فيها بكرمه وشجاعته ، ويُبَيِّنُ خطأ اعتقادها بأن الموت يلحق بالمرء وهو يحارب ، بل ربما أصاب الموت المقيم المتخلف في أهله ، بينما ينجو المقاتل ، وانه لن يجزع من الموت ، لأنه لابد لاقيه على أي حال : فالإنسان زائل حتماً عن هذه الدنيا ، ولعلّ البيت الأخير : وإن الأماني ثغر كل منية . أى أن الأمانى تهلك كل إنسان لأنها قد تجر على صاحبها الهلاك ، فرب امريء حتفه فيما تمناه .

ولعروة موقف إنسانى نبيل يدل على كرمه ، فهو يؤثر الفقراء الذين يطلبون عونه ، على نفسه ويفاخر بذلك . فيقول :

إنى امرؤ عافى إنائـي شركـة	وأنت امرؤ عافى إنائك وَاحِــدُ
اتهزأ منى أن سَمِنْتَ وقد تـرى	بجسمى مَسَّ الحق والحقُ جاهِـدُ
أقسم جسمى في جسوم كثيـرة	وأحسوا قراح الماء والماء بَـارِدُ

ويذكر عن "عروة " أنه كان يجمع المرضى والضعفاء والمسنين من عشيرته : " ثم يحفر لهم الأسراب ، ويكنف عليهم الكنف ، ويكسبهم ، ومن قوى منهم إماً مريض يبرأ من مرضه،أو ضعيف تثوب قوته ،خرج به فأغار ، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيبا . حتى إذا أخصب الناس ، وألبنوا وذهبت السَّنة

، ألحق كُلَّ إنسان بأهله ، وقسم له نصيبه من غنيمة إن كانوا غنموها ، فربما أتى الإنسانُ منهم أهلَهُ وقد استغنى ." [1]

والصعاليك فقراء يتعرضون للجوع والحرمان ، وتقوم حياتهم تلك على العداء للمجتمع الذي يعيشون فيه ، وقد دفعهم حرمانهم إلى الشجاعة ، والاستهانة بالموت في تلك الصحراء العربيّة الشاسعة .

ويتحدث محمد مصطفى هدارة عن الظروف التى كان يعيش في ظلها الصعاليك ، فيقول :"وقد كانت ظروف انعزالهم عن المجتمع القبلى، واضطرارهم إلى الدفاع عن أنفسهم بعد أن فقدوا حماية القبيلة ،واعتمادهم على الإغارة والسلب في كسب عيشهم ، بعد أن تجردوا من الثروة والمال سبباً في تميز شعرهم بهذا اللون الذاتى القوى التعبير عن النفس الإنسانية ، لقد كان الصعاليك فقراء ، ولكنهم لم يكونوا عاجزين عن إدراك الغنى بالوسائل المشروعة ، بيد أن مجتمَعهم كان ظالماً لهم ،فلم يهيئ لهم سبل العيش الشريف ،لهوان منزلتهم

---

[1] الشعراء الصعالك ص ٤٩ وانظر الأغانى جـ ٣ ص ٧٨ وانظر ديوان عروة بن الورد والسموأل . دار صادر . بيروت . د.ت ص ٢٩ ويرد البيت على النحو التالى :

اتهزأ منى أن سَمِنْتَ وأن ترى — بوجهى شحوب الحق والحقُّ جاهدُ

الاجتماعيَّة ، فشعروا بذلة الفقر شعوراً حاداً ، ونقموا على المجتمع الذي لا يجعل العدالة ميزاناً له." (١)

وقد يربط بعض الباحثين بينهم وبين الشيوعية الحديثة لما يجد هناك من مشابهه بين مذهبهم وبعض مبادئ هذا المذهب . وهو رأى فيه تطرف كبير ، ولكن المهم أنهم كانوا فقراء يعيشون في مجتمع لا يجدون فيه الأمن لأنفسهم كما كانوا يعرفون الفقر وآثاره الاجتماعية ومن ثم يقول عروة :

دعينى للغنى أسعى ، فإنــــى   رأيتُ النـــاسَ شرهُمُ الفقــيــر

وأبعــدهم ، وأهونهم عليهــم   وإن أمســى له حَسَبٌ وخــيــر

ويقصيه الندى ، وتزدريـــــه   حليلته ، وينهــره الصغيــــر

ويُلْفَى ذوالغنـــى ولـــه جَــلالٌ   يكاد فؤادُ صَاحِبِهِ يــطيـــــر

قليل ذنبه ، والذنــبُ جَــمٌّ   ولكن للغـنـــى رَبٌّ غفـــورُ (٢)

وهو يصور الفقر هنا تصويراً واقعياً صادقاً ، فالفقير شر الناس وأهونهم عليهم ، مهما كان حسيباً أو نسيبا ، ولا يجد صدارة في الندى ، وإنما يقصى ، وتحتقره امرأته بل وينهره الطفل الصغير . أما الغنى فله عظمة ومكانة ، وإن

---

(١) الدكتور محمد مصطفى هدارة . الشعر العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجرى . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٨١ ص ٤٤

(٢) ديوان عروة بن ورد ، والسموأل . دار صادر بيروت د . ت ص ٤٥

اتى بذنب فذنبه مغفور مهما كان الذنب عظيماً ، فالغنى يغفر له ما يأتيه من الذنوب وإن عظمت .

ولا شك أن المرأ في هذا المجتمع ، وفي حالة عروة المغامر الذي يعيش على الغارات ويتعرض للمهالك لابد أن يجد من زوجته لوماً له خوفاً عليه مما قد يتعرض له وهو أمر طبيعي . يقول عروة بن الورد :

أرى أم حسّانَ ، الغداةَ تلومني　　تخوفني الأعداءَ والنفسُ أخْـوَفُ

تقول سليمى لو أقمت لسرنـــا　　ولم تدر أنـــي للمقـــام أطـــوف

لعل الذي خوفتنا مـــن أمامنـــا　　يصادفه في أهله المتخـــلـــف[1]

هو يخاف الموت الذى تخوفه منه إمرأته ، بل لعله أشد خوفاً ، وتطلب إليه أن يعيش معها لا يفارقها ، وهو يريد ذلك ، ولكنه يلخص القضية في عبارة ،وهى أنه يطوف للحصول على المال لعله يستقر بعد ذلك وقد صار غنياً . ثم يطمئنها على أن الموت الذي تخوفه منه قد يلقاه أيضاً المقيم مع أهله ولا يشن الغارات على أحد .

وله من تطوافه وغاراته التى قد تَعَرِّضه للمهالك مآرب وأغراض أخرى ، يجملها في هذه الأبيات :

---

[1] انظر ديوان عروة والسموأل ص ٥١ ، ٥٢

دعيني أُطَوِّفْ في البلاد ، لعلَّني أفيدُ غِنىً فيه لذى الحق مَحْمَـلُ

أليس عظيماً أن تلـــم مُلِمَّــةٌ وليس علينا في الحقوقِ مُعَـوَّلُ

فإن نحن لم نملك دفاعا بحـــادث تلم به الأيام فالمــوت أجْمَـــلُ [1]

فهو يريد المال لكن لا لنفسه فقط ، وإنما لقضاء الحقوق والتبعات الاجتماعية ، فإذا ألمت مُلِمَّةٌ بقومه ، كان اعتمادهم عليه ، ولم يكن مجرد شخص تافه لا أهميّة له ، فإن لم يستطع أن يعين الناس عندما تنزل نازلة او كارثة فالموت أجمل به ، وأفضل له من الحياة .

وله قصيدة في وصف الصعلوك المثالى يقول فيها :

لحى الله صعلوكا إذا لَجَــنّ ليلـــه مصا في المُشَاش آلِفًا كَلَّ مَجْــزَرِ

يعد الغَنَى مــن نفسه كُــلَّ ليلـــةَ أصاب قراها مـــن صديق مُيَسَّـــرِ

ينام ثقيلاً ثُــم يصبــح قـــاعِداً يَحُتُّ الحَصَى عن جنــه المتَعَفِّـــرِ

يعين نساء الحــيِّ مـــا يستعنَّـــهُ فيضحى طليحا كالبعير المُحَسَّـــرِ

ولكن صعلوكاً صفيحـــــةُ وجهـــه كضوء سراج القابِـسِ المُتَنَـــوِّرِ

---

[1] نفسه ص ٦٢

مُطِلاً على أعدائه يزجرونه | بساحتهم زجر المنيح المُشَهَّر
وإن بَعُدُوا لا يأمنون اقترابه | تشوُّف أهل الغائب المتنظرِ
فذلك إن يلق المنيّة يلقها | حميداً وإن يستغن يوماً فأجْدر
يريحَ عَلَيَّ الليلَ أضياف ماجِدِ | كريمٍ ومالى سارحاً مال مقتر[1]

فالصعلوك الحقيقي مقاتل لا ينام الليل ، بل يغير على الأغنياء ليأخذ أموالهم ، والمهاجَمُون لا يقدرون على منعه من غصب أموالهم . فهو دائماً خلفهم سواء قربوا أو بعدوا ، وهو وإن بقى حياً صار غنياً بما يغصبه من هؤلاء الأغنياء .

[1] الكامل في الأدب واللغة . جـ ١ . ص ٧٨

أبو العلاء المعري (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ)

هو أحمد بن سليمان التنوخى المعرى . نسبة إلى معرة النعمان التى ولد بها سة ٣٦٣ هـ . وقد توفي سنة ٤٤٩هـ . وقد أصيب أبوا لعلاء بالجدرى مما أفقده بصره وهو ابن أربع سنوات . وكانت لفقده لبصره آثار نفسيّة عنيفة دفعته للزهد في الحياة ، وتحريمه أكل اللحم على نفسه ، كما حرَّم على نفسه الزواج حتى لا يرزق بأبناء يلاقون في الحياة ما لاقاه هو نفسه: حتى قال :

هذا جنـــاه أبى عَلَىّ وما جَنَيْتُ على أحَـدْ

ويدعى وهين المحبسين : منزله ، وفقدان بصره ، ولكنه يرى أنه رهين ثلاثة محابس لا محبس واحد :

أرانى في الثلاثةِ من سجونى   فلا تسأل عن الخبـــر النبيـث

لفقدى ناظرى ولــزوم بيتى   وكونِ النَّفْسِ في الجسم الخبيث [1]

وقد شقى أبو العلاء بظروف مجتمعه وبظروفه الخاصّة ، واشتق لنفسه طريقاً يخالف طريق غيره من الناس ، فانعدمت ثقته بالمرأة ، وبالمجتمع ، من حول فلا يثق بصديق ولا بغيره ، لأنهم في رأيه ليسوا محل ثقته لسوء طواياهم .

---

[1] انظر شوقى ضيف . عصر الدول والإمارات (مصر والشام) . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٨٤ ص ٦٥١

والحق أن بعض المعاصرين يجد حملته على المرأة رد فعل لحرمانه منها ، مما جعله يتخذ منها موقفاً غير عادل بحال من الأحوال . يقول الدكتور شوقي ضيف : " ولم ينس المرأة في إعلان هذا السخط ، فقد وصفها بأنها لا تتصف في الود ، ولا تفى للعهد ، ولم ينصح بتعليمها ، فحسبها في رأيه ، الغزل والنسيج والرَّدْنَ أو الحياكة :

عَلِّمُوهُنَّ النَّسْجَ والغَزْلَ والرَّدْ نَ ، وَخَلُّوا كتابة وقراءة ." [1]

ويقول طه حسين عن موقف أبى العلاء من المرأة :" رأى أبى العلاء في المرأة قبيح ، لأنه يسئ بها الظن في جميع أطوارها ، ويرى أن تقطع الأسباب والوسائل بينها وبين الحياة العامّة ، إذ هى لا تَصلُحُ منها لشيء ، فأمّا العلم فقد حَظَرَهُ عليها فقال :

علموهن النسْجَ والغَزْل والرَّدْ نَ ، وَخَلّـــُوا كتابـــــة وقـــراءة
فصلاة الفتاة بالحمد والاخـــ ـــلاص تجزى عن يونس وبـــراءة[2]

وإذا كان لابد من تعليمها ، فلا يعلمها إلا الشيخ الفانى ، أو العجوز الهالكة :

ليأخُذْنَ التلاوةَ عن عجـــوزٍ مـــن اللاتي فَغَـــرْنَ مُهتَمَـــاتِ

[1] نفسه ص ٦٥٧

[2] طه حسين . تجديد ذكرى أبى العلاء . ط ٨ ، دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧٦ ص ٢٨٢

يُسَبِّحْنَ المليكَ بكـل جُنْـــحٍ	ويركعــن الضُحَــى متأثمــاتِ
فما عيب على الفتيات لَحْــنٌ	إذا قلــنَ المرادَ متَــرجمـــاتِ
ولا يُدْنَيْنَ من رَجُلٍ ضَــريــرٍ	يُلَقِّنُهُــــنَّ آيــا محـكـمـــاتِ
سِوىَ من كان مرتعشا يَــدَاهُ	ولمتـــه مـــــن المُتَثَغِّمــاتِ[1]

بل إنه نهى المرأة عن الحج وعن شهود الجماعات [2] وهى آراء رجعيّة ، لعله تأثر فيها بآراء معاصريه أو تأثر بحال المرأة الاجتماعى ونسب الشر كلّه إليها .

أما موقفه من الطعام والشراب والزهد فيه إلى حد التقشف الشديد ، والحرمان الظاهر فمعروف : وفي هذا يقول :

غَدَوْتَ مريضَ العَقْلِ والدين فَالْقَنِى	لتسمع أنْـبَــاءَ الأمور الصحائح
فــلا تَأْكُلَنْ ما أخرجَ البحــر ظالما	ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح
ولا بــيــض أمّاتٍ أراد صريـحــه	لأطفالهـــا دون الغوانى الصرائح
ولا تفجَعَنَّ الطيــر وهى غوافـــل	بما وضعت فالظلم شــر القبــائح

[1] طه حسين . تجديد ذكرى أبى العلاء . ط ٨ ، دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧٦ ص ٢٨٢
[2] نفسه ص ٢٨٣

وَدَعْ ضَرَبَ النَّحْل الذى بكــرت لـه	كواسب من أزهار نبــتٍ فوائـــح
فما أحرزته كـــى يكــونَ لغيرهـــا	ولا جمعتـــه للنـــدى والمـــنـــائح
مسحت يدى من كل هـــذا فليتـــنى	أَبَهْتُ لشأنى قبل شيب المسائـــح

ويرى طه حسين أن المعرى أخذ هذه الفلسفة عن الهند وهو رأى نخالفه فيه [1] ولم لا يكون هنا مسلكاً خاصّاً لأبى العلاء ، ناجماً عن اقتناع شخصي وليس عن تقليد للهنود أو لغيرهم .

وأبو العلاء يريد للمجتمع أن يكون على صورة مثالية ، ولكن المجتمع لم يكن كذلك ومن ثم قلت ثقته بالناس وساء بهم ظناً ورأى أن يكون المرء أكثر حيطة وحذراً في مثل هذا المجتمع الذي عاش فيه .

وهو يحث بطبيعة الحال على إخراج الزكاة لأنها تعين الفقراء وتحقق العدالة الاجتماعية ، وبخاصّة وأنه كان يرى الحكام في زمنه ظلمة مجرمين يحكمون الناس ، ويسودونهم وهم في الحقيقة خدم لهم . يقول طه حسين : " سُخْطُ أبى العلاءِ على ما رأى وقرأ من ظلم الملوك والأمراء ، دعاه إلى التفكير في مصدر السلطة التى أتيحت لهم ، فلم ير لها مصدراً إلا الأمَّة التى استأجرت

---

[1] طه حسين . تجديد ذكرى أبى العلاء . ط ٨ ، دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧٦ ص ٢٨٦

حكامها ليقوموا بمصالحها العامّة . فأى تجاوز لهذه القاعدة يقع فيه الحكام كافٍ لمقْتِهِمْ والتعاون عليهم . وهو أحدث الآراء الأفرنجية في الحكم . وفيه يقول :

مَلَّ المُقَامَ فكم أعَاشِرُ أمةً أمرت بغيرِ صلاحِهَا أمراؤها

ظلموا الرعيّة واستجازوا كَيدها وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ومن هنا نعلم أن أبا العلاء ، لا يرى الملك ولا وراثته ، وإنما يرى الانتخاب والبيعة ." [1]

غير أن الطعن في دين أبى العلاء المعرى ليس له سند صحيح من شعر الشاعر ، وكان طه حسين صريحاً في اتهامه بذلك فيقول :" إذا سمع الناس أبا العلاء ، لم يفهموا منه إلا رجلاً ملحداً ، فإذا سألتهم عن علّة إلحاده ، وعما اخرجه من الدين وحشره في الملحدين رووا لك أبياتاً في اللزوميات تنطق بإنكار الشرائع ، والغض من الأنبياء . ".[2] ويرد ذلك إلى المتعصبين من الفقهاء ورجال الدين ، ولكن طه حسين بعد ذلك يصفة بأوصاف تجعله لا يؤمن إلا بالعقل ويقدمه على كل شيء أخر ويستشهد بأبيات لا تدل إلا على تقديره للعقل أو التفكير الصحيح وهو لا يتناقض مع الدين بحال من الأحوال : كقوله :

---

[1] نفسه ص ٢٨٤

[2] نفسه ص ٢٣٢

يرتجى الناسُ أن يقوم إمـــام ناطق في الكتيبـــة الخرســـاء

كذب الظنُّ لا إمام سوى العقـــل مشيراً في صبحـــه والمســـاء

فإذا ما اطعته جـلب الـرحمـــةَ عند المسيـر والإرســـاء[1]

وعلى أية حال فإن هذا الجهد من طه حسين لا يمكن أن يخرج الرجل عن جادة الصواب في دينه .

وقد اتهم بأنّه التقى براهب مسيحى أفسد دينه ، وقد رفض هذا الرأى بروكلمان . فقال :" ومن الخرافة القول بأنه وهو شاب تعلم الفلسفة اليونانية على أحد الرهبان في اللاذقية .. [2]" ولكنه يعود إلى اتهامه في دينه عندما يقول : " .. غير أنه يدافع عن حق العقل والضمير ضد السُنَّة والتقليد ...... ولم يبال بتعاليم الاسماعيليّة ، كما لم يبال بالمذهب السنى المحافظ وكان دينه الاعتقاد المجرّد بالله وحده ، لذلك لم يتحرج في " الفصول والغايات " من أن يقلد أسلوب القرآن . وفي " رسالة الغفران " من أن يغض من الاعتقاد في الجنّة ، ولا يعترف بدعوى الإسلام القائمة على الوحى ... إلخ [3]"

---

[1] نفسه ص ٢٤٠

[2] كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربي . جـ ٥ ، دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧٥ ص ٣٧

[3] نفسه ص ٣٧ ، ٣٨

ونرى أن بروكلمان لم يترك للرجل شيئاً فقد أخرجه من دائرة الإسلام فهو لا يبالى بمذهب أهل السنة الذى يصفه بالمحافظ ، كما يرى أن تقليده للأسلوب القرآنى فيه ما يدل على ضعف عقيدته ، كما لا يعتقد في الجنّة في الآخرة وبالتالى لعله لا يعتقد في جهنم ، كما لا يعترف بالوحى . وهى افكار لا سند لها من حياة أبى العلاء .

فقد كان الرجل زاهداً في الحياة لا يحصل من طعامها إلاّ على ما يمسك الرمق ، بعيداً عن حب الدنيا ومباهجها ، صائماً طول العام لا يفطر إلا في العيدين فقط ، فهو مسلم صحيح الإسلام لا يظهر التدين ويضمر خلافه وهذا ما يذهب إليه الدكتور شوقى ضيف ، الذي يرى أيضاً أن أبا العلاء قد نحل عليه شهر يقدح في عقيدته ، لم يقله ، وإنما حمل عليه [1] .

ويذكر أنّه كان مقيم الصلاة ، مؤمناً بالآخرة ، طامعاً في عفو الله . [2]

---

[1] انظر عصر الدول والإمارات . مصر والشام ص ٦٥٨ ، ٦٥٩

[2] نفسه ص ٦٥٩ ــ ٦٦٠

حافظ إبراهيم (١٨٧٢ – ١٩٣٢م)

حافظ إبراهيم يذكر باعتباره أحد شاعرين كبيرين في العصر الحديث هُمَا أحمد شوقى أمير الشعراء وحافظ إبراهيم شاعر النيل . ولا يمكن لـدارس حيـاة حافظ وشعره إلاّ أن يضعه في مكانة سامية ويشعر نحوه بالتبجيل والتقدير فهـو رجل وطني غيور ، كما انه شاعر يصور المحن والمآسي في حياة الناس . وهو شاعر اجتماعى بمعنى أنه شاعر يصور مشاكل المجتمع ويريد أن تكون حياتـه حياة طبيعيّة تدفعه إلى التقدم والحياة الكريمة .

ونلتقى في ديوانه في القسم الخاص بالاجتماعيات بحديثه عن حريـق : ميت غمر " ودعوته إلى نجدة أهل هذه المدينة الذين تشردوا في العراء :" شـبت النار في مدينة " ميت غمر " من أعمال الدقهلية يوم الخمـيس أوّل مـايو سـنة ١٩٠٢م ، ٢٢ محرم سنة ١٣٢٠هـ

وبقيت تأكل كل ما تأتى عليه في هذه المدينة حتى يوم ٨ مايو ، وهلـك بسبب هذا الحريق كثيرون ، ودمرت كثير من الدور والمحال ، ولعظـم النكبـة تألفت جماعة من الأعيان لتخفيف ويلات هذا المصاب ، وتسـابق أهـل الخيـر فجادوا بالمال الكثير ، وحضت الصحف الناس على جمع المال لذلك ." [1]

---

[1] ديوان حافظ ، إبراهيم . جـ ١ . الهيئة المصرية للكتاب . القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥٠

ولما كان هذا الحريق يمثل كارثة كبرى كان لزاماً على حـافظ شـاعر النيل أن يحث الناس على البذل في سبيل إغاثة هؤلاء المكنوبين المشردين : يقول حافظ :

سائلوا الليل عنهمُ والنهـارا ... كيف باتت نساؤهـم والعـذارى ؟

كيف أمسى رضيعهـم فقـد الأ ... مِّ ، وكيف اصطلى مع القوم نـارا؟

كيف طاح العجوز تحـت جـدارٍ ... يتـداعى واسقـف تتـجـارى ؟

رَبِّ إنَّ القضـاء أنْحَى عليهم ... فاكشفِ الكَـرْبَ وَاحْجُـبِ الأقْدَارَا

ومُـرِ النـارَ أنْ تَكُـفَّ أذاهـا ... ومُـرِ الغيـث أن يسيـلَ انهمـارًا

أين طوفانُ صاحب الفلك تَـرْوِى ... هـذه النارُ ؟ فهـي تشكـو الأُوَارَا

أشعَلَتْ فحمةَ الدياجى فبـاتَـتْ ... تَـمْـلأُ الأرض والسـماء شَـرَارًا

غشيتهُمْ والنَّحْسُ يجري يميـنـاً ... ورمتهـم والبُـؤْسُ يجرى يَسَارًا

فأغارت وأوجه القـوم بيـضٌ ... ثم غارَتْ وقـد كستهُـنَّ قَـارًا

أكَلَتْ دورهُمْ فلمـا استقلَّـتْ ... لـم تغـادر صغـارَهُمْ والكِـبَـارَا

أخرجتهـمْ من الـديـار عُرَاةً ... حَـذَرَ المـوتِ يطلـبون الفِـرَارَا

يلبسون الظـلامَ حتـى إذا ما ... أقبـل الصُّبْـحُ يلبسـون النَّهَـارَا

حلّة لا تقيهُمُ البَردَ والحَـ	ـرّ ، ولا عنهمُ تَردُّ الغبارَا
أيها الرّافلون في حلل الوشْـ	ـي ، يجرون للذُّيُول افتخارَا
إنّ فوق العراء قوماً جياعًا	يتوارَوْنَ ذِلّةً وانكسارَا
أيُهذا السّجينُ لا يمنع السّجـ	ـنُ كريماً من أن يُقيلَ العثارَا
مُرْ بألفٍ وإن شئتَ زِدْهَا	وأجِرْهُمْ كما أجَرْتَ النّصارَى
قد شهدنا بالأمسِ في مِصرَ عُرسًا	مَلأَ العينَ والفؤاد ابتهارا
سَالَ فيه النُّضارُ حتى حَسِبْنَا	أنّ ذاكَ الفِنَاءَ يَجْرِى نُضارَا
بَاتَ فيه المُنَعَّمُون بِلَيْلٍ	أخْجَلَ الصُبْحَ حُسْنُهُ فتَوارَى
يكتسون السرورَ طوراً وطوْراً	في يد الكأس يخلعونَ الوقارَا
وَسَمِعْنَا في ميت غمر صياحاً	مَلأَ البَرَّ ضَجَّةً والبِحَارَا
جَلَّ من قسّم الحظوظَ فهذا	يَتَغَنَّى وذاك يبكى الدِّيَارَا
رُبَّ ليل في الدهر قد ضَمَّ نَحْسًا	وسعودًا وعُسْرَةً ويَسَارَا[1]

فحافظ في قصيدته يصور مأساة أهل ميت غمر التى ظل الحريق بها حوالى ثمانية أيام مصوراً ما يلقاه النساء والفتيات من الهول والمتاعب ، وكيف

---

[1] نفسه ص ٢٥٠ - ٢٥٢

فقد الطفل الرضيع أمّه التى فقدت في الحريق ، وكيف فارق الحياة بفعل النيران .

ثم ينتقل إلى الله تعالى يدعوه أن يكشف عنهم الشدة والكرب وأن يأمر النار أن تكف أذاها ، وأن يأمر الغيث أن ينصب على النار فيطفئها ، ويعظم من هول هذه النار التى كانت عظيمة فيتمنى لو أن مياها كمياه الطوفان تندفع إلى هذه النار فتقضي عليها ويستخدم الاستفهام ليشعر سامعه بهول الكارثة مع الاستعانة بالطباق كالليل والنهار ، والنساء والعذارى في البيت الأول .

وفي البيت الرابع يكون الطباق بين أحجب وأكشف . وفى البيت الثامن نجد الطباق بين يميناً ويساراً . وفي البيت التاسع نجد الطباق بين بيض وقار ، وفي البيت العاشر يطابق بين الصغار والكبار ، وفي البيت الثانى عشر يطابق بين الظلام والصبح ، وفى البيت الثالث عشر يطابق بين البرد والحر .

ثم يقابل بين حال أهل ميت غمر في مأساتهم الكبرى وبين الأغنياء الذين يعيشون في ترف ويحضهم على البذل والعطاء ويشير إلى واقعتين حقيقيتين هما ذلك الباشا المسجون وهو اسم حقيقى وهو المنشاوى باشا وكان قد ارتكب جريمة تعذيب لصوص اتهموا بسرقة بعض المواشي من مزرعة الخديوى عباس حلمى

الثانى حتى اضطروا تحت التعذيب إلى الإقرار بالسرقة ، وكان هذا في سنة ١٩٠٢ [١] وكان هذا الرجل ثريا .

ويقابل أيضاً بين حال هؤلاء المشردين بفعل الحريق وبين عرس شاهده ، وهو عرس حقيقيّ ، وهو عرس زواج الأمير حيدر رشدى فاضل بك ، من كريمة على فهمى باشا وقد أقيم حفل عظيم بدار على فهمي باشا مكث ثلاث ليالٍ من ليلة الأربعاء ٣٠ إبريل سنة ١٩٠٢ إلى ليلة الجمعة ٢ مايو من السّنة نفسها.[٢]

وهو بهاتين المقابلتين يقدم صورتين اجتماعيتين عن قصد فالمنشاوى باشا كان قد أجار كثيراً من الأوربيين وحماهم من أذى المصريين في الثورة العرابيّة. وأنزلهم بيته[٣] ولا يمكن أن تكون إشارة حافظ هذه ، ولا إشارته الثانية إلى العرس بلا مغزى أو هدف وإنما يسوقهما حافظ لبيان مدى التفاوت بين موقف المنشاوى باشا في حماية الأجانب وتقصيره في جانب أهل ميت غمر حتى ولو كان مسجوناً لأن السجن لا يمنعه من مساعدتهم ، ولعله يلمزه بالخيانة .

---

[١] ديوان حافظ إبراهيم جـ ١ ص ٢٥١

[٢] انظر ديوان حافظ . جـ ١ . ص ٢٥١

[٣] نفسه ص ٢٥١

ويصور في الثانية مدى الترف الذي يعيش فيه بشاوات مصر بينما غيرهم لا يجد القوت الضرورى أو يعز عليه وجوده :

قد شهدنا بالأمس في مصر عرساً	ملأ العيـن والفؤاد ابتهـــارا
سالَ فيه النُّضَـــارُ حتى حسبنـا	أن ذاك الفنـاء يجرى نضـارا

ثم يصور عبثهم وشربهم للخمر ، وخلعهم للوقار والحشمة . ثم يعقب على هذا ببيان اختلاف حظوظ الناس في هذه الحياة : فيقول :

جَلَّ من قسَّم الحظــوظَ فـهــذا	يَتَغَـنــىَّ وذاك يبكى الدِّيَـارَا
رُبَّ ليل في الدهر قـد ضـمَّ نَحْـسًا	وسعـــودًا وعُسْـرَةً ويَسَارًا

وكأنه يرى أن التناقض في حظوظ الناس من طبيعة هذه الحياة .

والقصيدة بها صور كثيرة ، وبها من الصور الاستعارات " النحس يجرى يميناً ، والبؤس يجرى يساراً ، وأغارت ثم غارت ، وكستهن قارا . وأكلت دورهم . ويلبسون الظلام ، ويلبسون النهار ، وتجد الصور مثل يتوارون ذلة وانكسارًا . ملأ العين والفؤاد ابتهارا ، أى عجبا ، سال النضار أى الذهب ، أخجل الصبح ، استعارة ، وتوارى الصبح ، استعارة أخرى . ويكتسون السرور .

والشاعر يختار كلماته بكل دقة وعناية مثل : أين طوفان صاحب الفلك يروى هذه النار ؟ وهو استفهام يدل على ضخامة الحريق . والتصوير في قوله أخرجتهم من الديار عراة أو قوله أيها الرافلون في حلل الوشى ، وهى كناية عن الأغنياء وهكذا .

ثم من القضايا التى تعرض لها قصّة زواج الشيخ على يوسف من بنت السادات ، وكيف أثارت هذه المسألة قضية اجتماعية وهى الكفاءة بين الزوجين ومع أن الشيخ على يوسف كانت له مكانته الاجتماعية ، ومكانته كصحفى ومالك لصحيفة المؤيد إلا أنّ والد الفتاة رفض تزويجها إياه لعدم الكفاءة فاتفق مع الفتاة وعقد عليها ، وعرضت القضية على المحكمة التى قضت بعدم شرعية الزواج ، ولكن محكمة الاستئناف تقضى بصحة الزواج وبالكفاءة بين الزوجين فيما يقال ، وقد كان للقضية صداها الإجتماعى عندئذ . " كان بين المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ، وبين السيد أحمد عبد الخالق السادات شيخ السادات الوفائية صلة مودة وصداقة ، فخطب الشيخ على ابنته صفيه ، ورضيت الفتاة وسكت الأب ، فعقد العقد في بيت البكرى من غير علم الأب ، فرفع الوالد الأمر إلى المحكمة الشرعية طالباً فسخ العقد لعدم الكفاءة في النسب ، ودافع الشيخ على عن نسبه ، وأثبت شرف نسبه بتسجيل إسمه في دفتر الأشراف ، وقضت

المحكمة بالحيلولة المؤقتة بين الزوجين ، ثم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج ، فاستأنف الزوج الحكم أمام المجلس الابتدائى الشرعى في محكمة مصر الشرعيّة الكبرى ، فقضت بتأييد الحكم بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٩٠٤م " [1] يقول حافظ :

حَطَمْتُ اليراعَ فلا تعجبـــي … وعِفْتُ البَيَــانَ فلا تَعْتَبــــي

فما أنتِ يامصرُ دارَ الأديـــبِ … ولا أنـتِ بالبلـد الطَّـيِّـبِ

وكم فيكِ يامصـرُ مـن كاتـبٍ … أقال اليــراع ولـم يكـتُـب

فلا تَعْذُليـنِى لهـذا السكُـوتِ … فقد ضَاقَ بى منْكَ ما ضاقَ بـي

أيَعْجِبُنِى منك يـوم الوفـــاقِ … سكوتُ الجَمَادِ ولعب الصبِّــي؟

وكم غَضِبَ الناس من قبلنـــا … لِسَلْبِ الحقوقِ ولـم نَغْـضَـبِ

أنَابِتَةَ العـصر إنّ الغـــريـب … مُجِـــدٌ بمصـرَ فلا تَلْعَـبي

يقولون :في النشئِ خيـرٌ لنـا … وللنشئِ شرٌ مـن الأجنـبـي

أفى الأزبكية مثـوى البنيـن … وبين المساجـد مـثـوى الأبِ

وكم ذا بمصر من المضحكـات … كما قال فيهـا أبـو الطيـب

أمـور تمرُّ وعيـش يُـمـرُّ … ونحن من اللهو فـي ملـعـبِ

وشعب يفرُّ مـن الصـالحـاتِ … فرار السليـم مـن الأجـرب

---

[1] ديوان حافظ إبراهيم جـ ١ ص ٢٥٦

وُصُحفٍ تطنُّ طنين الذبابِ … وأخرى تَشُنُّ على الأقربِ

وهذا يلوذ بقصر الأمير … ويدعو إلى ظله الأرْحَبِ

وهذا يلوذ بقصر السفير … ويطنب في ورده الأعذبِ

وهذا يصيح مع الصائحين … على غير قصدٍ ولا مأربِ

وقالوا : دخيلٌ عليه العفاءُ … ونعم الدخيل على مذهبي

رآنا نياماً ولمّا نفق … فَشَمَّر للسعي والمكسب

وماذا عليه إذا فاتنا … ونحن على العيش لم نذأب

ألفنا الخمول ويا ليتنا … ألفنا الخمول ولم نكذب

* * *

وقالوا : (المؤيد) في غمرة … رماه بها الطمع الأشعبي

دعاه الغرام بسن الكهول … فَجَنَّ جُنُوناً ببنت النبي

فَضَجَّ لها العرش والحاملوه … وضجّ لها القبرُ في يَثْرِبِ

ونادى رجال بأسقاطه … وقالوا : تلونّ في المشربِ

وعدوا عليه من السيآت … ألوفاً تدور مع الأحقب

وقالوا : لصيق ببيت الرسول … أغَارَ على النسبِ الأنجب

وزكى أبو خطوة قولهم … بحكم أحد من المضرب

فما للتهاني على داره	تساقط كالمطر الصيب
وما للوفود على بابه	تزفُ البشارة في موكب
وما للخليفة أسدى إليه	وساماً يليق بصدر الأبي
فيا أمّة ضاق عن وصفها	جنانُ المفوّه الأخطب
تضيع الحقيقة ما بيننا	ويصلى البرىء مع المُذنب
ويُهضَمُ فينا الإمام الحكيم	ويكرم فينا الجهول الغبي
على الشرق منى سلام الوَدُود	وإن طأطأ الشرق للمغرب
لقد كان خصباً بجدب الزمان	فأجدب في الزمان المخصب [1]

والقصيدة تنقسم إلى قسمين قسم يصور فيه حافظ همومه ومعاناته : في قوله :

حَطَمْتُ اليراعَ فلا تعجبي	وعِفْتُ البَيَانَ فلا تَعْتِبي
فما أنتِ يامصرُ دارَ الأديبِ	ولا أنتِ بالبلد الطّيِّبِ
وكم فيكِ يامصرُ من كاتبٍ	أقال اليراع ولم يكتُبِ
فلا تعذليني لهذا السُّكُوتِ	فقد ضَاقَ بي ونكِ ما ضاقَ بي

[1] ديوان حافظ . جـ ١ . ص ٢٥٦ – ٢٩

فهو يصرح بعدم رضائه عن مصر وعن حاله وما يعانيه ولا شك أنّه ذاق الأمرين من الفقر والحرمان وحياة الكفاف . ، كما يصوروضع الأحرار الذين كفوا عن الكتابة.

أما بعد ذلك فيهاجم الشعب المصري المقسم بين الخديوى وبين المستعمر الذي يمثله المندوب السامى البريطانى ، ويشير إلى قسم ثالث لا هو إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فهو لا يبالى بشيء ، ويشير إلى أن الشعب راض عن الظلم لا يغضب ، ولا يتذمر بينما غيرنا من الشعوب يفعل ذلك . بينما الأجنبي ينهب خيرات البلاد ونحن نيام . ويهاجم أيضاً الصحف التى تمالئ الأجنبي وتهاجم الوطنى . كما يغضب من أجل الأخلاق التى أصبح الشباب يعيش عليها ، هو باختصار غير راض عن الأوضاع السياسيّة والاجتماعية القائمة بمصر .

وأما القسم الثانى من القصيدة فيصور قصة زواج الشيخ على يوسف بصفيّة ابنة الشيخ أحمد عبد الخالق السادات . ولكننا نرى لحافظ موقفا ضمنياً وهو أنّه ضد زواج الشيخ على يوسف من الفتاة . بدليل قوله :

وقالوا : (المؤيد) في غمرة ومـاله بها الطمع الأشعبي

فإذا قلنا إنه مجرد راو لما يقوله الناس فإن قوله :

دعاه الغرام بسن الكهول فجن جنوناً ببنت النبي

فضجَّ لها العرش والحاملوه   وضجَّ لها القبرُ في يثربِ

فإن البيتين يدلان على عدم رضاه عن مسلك الشيخ على يوسف واعتباره رجلاً يرتكب عملاً محرّمًا حتى لقد ضج العرش والملائكة وضج قبر النبي عليه السلام لفعلته ، وهى تجرؤه على زواج امرأة تنتسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو فكر يمثل موقفاً رجعياً بمقياس ذلك الزمان ١٩٠٤م .

ولا ندرى له موقفاً محدداً من القضية يجعله إمّا مع الرافضين أو الموافقين على هذا الزواج ، وذلك لقوله :

ويُهضَمُ فينا الإمام الحكيم   ويكرم فينا الجهول الغبي

فإنّه هذا القول يتضمن ضمنا أن على يوسف رجل مثقف وليس جاهلاً ، ولكن حقه يهضم ، وعلى أيّة فإن القضيّة ما تزال فيه رأينا ترتبط بزمانها ، ويصور الأستاذ أحمد بهاء الدين انقسام الشعب المصري إلى فريقين فريق من المثقفين والسياسيين يؤيد الشيخ على يوسف ، وفريق آخر يمثل الأغلبية الساحقة من المصريين يعارضه ، ويرى عمله عملاً غريباً : فيقول : " وفي هذه الأثناء كان الرأى العام كله قد انقسم إلى معسكرين متخاصمين :

فريق يدافع عن الشيخ على يوسف ، أغلبه من المثقفين والمستنيرين الذين رأوا أن ما صنعه على يوسف لا غبار عليه .. وأنه كفء لابنة السادات فعلاً ،

فضلاً عن أصدقائه وأنصاره السياسيين ، وعلى رأسهم الخديوى عبـــاس حلمـــى نفسه .. فقد كان على يوسف صديقاً شخصياً له ، مدافعاً دائماً عنه .

وفريق يهاجم الشيخ على يوسف ، يتكون من أغلبيّة الرأى العام ، ويضم ألواناً مختلفة من الناس " يضم الجامدين الذين يؤمنون بالأخلاق القديمة كلهـــا ، بأن الحسب والنسب شيء مقدس ، لا يرقى إليه العصاميون ! وأن الوارث الغنى ، ولو كان عاطلاً ، أشرف وأرفع من الفقير الذي ارتفع بنفسه ويضم كل الـــذين يستغلون الجهل السائد من مشايخ الطرق ومشعوذي الأديان . ويضم أيضاً كـــل خصوم الشيخ على يوسف السياسيين الذين لم يجدوا في قضية الزواج إلاّ مناسبة للتشهير به والطعن عليه ، فتسابقت الصحف المعادية تكيل له أقذع التهم ، وتعيره بأصله الحقير ، وفقره القديم وزواجه الحرام ." [1]

ولا نلوم " حافظاً " لأنّه اتخذ مثل هذا الموقف الذي يعد حتى يومنا هـــذا موقفاً ينكره المجتمع ، ويرى فيه رجال الدين أن المرأة لا تـــزوج إلا بموافقـــة وليها . وقد هاجم حافظ إبراهيم أحد الباحثين متهما إياه بأنه لم يكن لـــه موقـــف واضح من القضيّة بل ويجعل هذا الحكم ينطبق على كل نواحى الحياة التى تطرق

---

[1] أحمد بهاء الدين . أيام لها تاريخ . جـــ ١ . كتاب روز اليوسف . القاهرة ، ١٩٥٤ ص ٥٣ وانظر الموضوع كله الكتاب نفسه من ص ٤٥ – ٦١

إليها بشعره ويتهمة بضعف الشخصية ، وبالجبن ، فهويقول عنه :"... فأنت تراه في هذه المسائل وفي أمثالها مضطربا غير مستقر ، لا يستطيع الجزم بـــرأى ، وسر ذلك – فيما أرى – أمران :

الأول : ضعف شخصيته وعدم استبطانه للأمـــور ، فهـــو يخشـــى أن ينكشف أمره إذا ما بَتّ برأى قاطع في المسائل التى تشغل الناس ، لأنـــه قلمـــا يعكف على مسألة أو يستوعبها في إمعان وروية ، فقد حكى عنه بعض أصدقائه رواية عنه : أنه لم يقرأ كتاب تحرير المرأة ، وإن كان قد قال فيه شعراً .

الثانى : خشيته من أن يناله أذى إذا انحاز إلى رأى دون رأى ." [1]

والواقع أن هذا الباحث لا يفهم حافظ إبراهيم ولا يعرف ظروف حياته ، ولا ما كان يحيط به ويحيط بغيره من الشعراء في عصر وبعد عصره ، وفيـــه إجحاف بحقه وبقدره حيث ذاق الرجل الأمرين ، ولم تمتد يد لانتشاله ممـــا هـــو فيه .

ولم يكن حافظ لا جاهلا ولا قليل العلم ولا عاجزاً عن أن يقـــول ولكـــن الظروف كانت أقوى منه ، وأصبح حافظ إبراهيم هدفاً لكل من يريد أن يســـجل مجداً شخصياً ، أو يقدم دراسة غير ناضجة عن الرجل .

---

(1) الدكتور عبد الحميد سند الجندى .حافظ ابراهيم شاعر النيل . دار المعارف .القاهرة .ط٢ . ص ٥٧ وانظر ص ٥٨ حيث يصف الشاعر بانه كان ذا نفس حائرة .

والكاتب ، أو الباحث يؤاخذ حافظ إبراهيم لأنه لم يكن لـــه موقــف مـــن قضية زواج الشيخ على يوسف [1]ولكنه يصف حافظ بصفة تهدم ما قاله عنــدما يقول : " وكان حافظ يتصف بالصراحة البالغة إلى أقصى حد . كانت صــراحته في بعض الأحايين كالحة ، إذا استفزه أمر ثارت نفسه ، واستحال عليه أن يكبح جماحها . وانطلق فوه يقذف بما في دخيلتها." [2]

ومن الموضوعات الاجتماعية الأخرى التى يدعو لها حافظ إبراهيم قوله داعياً المواطنين إلى التبرع لرعاية الأيتام ، وقد أنشدها في حفل أقامته جماعة رعاية الأطفال بالأوبرا وقد نشرت القصيدة في سنة ١٩١١، يقول :

وعلمنا أنّ الزكاة سبيل اللّـه	قبل الصلاة قبـل الصيام
فَصَّهَا اللّهُ في الكتـاب بـذكـرٍ	فهي ركنُ الأركان في الإسلامِ
بَـدأَتْ مَبْــدأَ اليقـيـنِ وَظَلَّـتْ	لحياة الشعوب خيرَ قِــوَامِ
لَوْ وَفَي بالزكاة من جَمَعَ الدنيَا	وأهوى على اقتنـاء الحُطَـــامِ
ما شكا الجوع مُعْدِمٌ أو تصـدّى	لـركـوب الشــرور والآثـامِ
راكباً رأسَـهُ طـريـداً شريـدًا	لا يبـالـي بشــرعـة أو ذِمَـامِ
سائلاً عـن وصيّـة اللـه فِيـهِ	آخـذاً قُوتَــهُ بِحَــدّ الحُسَـامَ

(1) انظر حافظ ابراهيم السابق ص ٥٦

(2) نفسه ص ٥٢

لم أقف موقفي لأنشد شِعراً	صُبَّ في قالب بديع النظام
إنما قمتُ فيه والنفسُ نشوى	من كئوس الهموم والقلبُ دامي
ذقت طعم الأسى وكابدت عيشاً	دون شربي قذاهُ شرب الحِمام
فلهذا وقفت استعطف النا	سَ على البائسين في كلِّ عام [1]

والقصيدة تبدأ بوصف القطار ، لأن القطار كاد يفتك برجل وقف أمامه على الجسر فأصبح لا مفر أمامه إلا أن يموت أو يلقى بنفسه في الماء ، وقد آثر الثانية وكان عرضه للغرق ، لولا أن قيض الله له رجلاً هماماً شهماً أنقذه من الغرق ، ولكن هذا الإنقاذ لم يأت مصادفة ، وإنما بسبب أن الرجل كان رجلاً محسناً متصدقاً ، وقد عرف الناس هذا من المرأة التى جاءت خائفة عليه ، وأخبرت الناس بأنه أواها هي وأولادها وأحسن إليها وهذا يعنى أنه أنقذ من الموت لأنه ينقذ الآخرين من موت من نوع آخر ، وهو موت الحرمان والضياع . قالت المرأة :

إنّ هذا الكريم قد صانَ عرضي	وحماني من عاديات السّقام
عال طفلي وعالني وحَبَاني	بكساء وبدرة .. وطعام
وهو من معشر أغاثوا ذوي البؤ	وقاموا في الله خير قيام [2]

---

[1] ديوان حافظ إبراهيم جـ١ . ص ٢٨٧ ، ٢٨٨

[2] نفسه ص ٢٨٦

ثم يوضح حافظ سبب نجاة الرجل :

قد نجا المُنعِمُ الجواد من المو ... تِ بفضل الزكاةِ والإنْعَامِ [1]

وهذا يعنى أن الشاعر كان يساهم مساهمة فعّالة في الدعوة إلى البر ، ويستخدم الوسائل المختلفة لإقناع الناس بفعل الخير مبيناً لهم أن أجرهم لن يضيع عند الله . وله قصيدة أخرىً في رعاية الطفل نشرت ١٩١٣ يقول فيها :

هـذا صَبِيٌّ هائِـمٌ ... تحت الظّلام هيام حائرْ

أبلى الشتاء جَديدَهُ ... وتَقَلّمَتْ منه الأظافرْ

فانظر إلى أسْمَالِه ... لم يبقَ منها ما يظاهرْ

هو لا يريد فراقها ... خوفَ القوارسِ والهَوَاجِرْ

لكنّها قد فارقته ... فراقَ مَعْذورٍ وعَاذِرْ

إنى أعد ضلوعه ... من تحتها والليل عاكر

أبْصَرْتُ هَيْكَلَ عظمِهِ ... فذكرتُ سكانَ المقابرْ

فكأنما هو مَيِّتٌ ... أحياه عيسى بعد عَازَرْ

قد كانَ يهدمه النّسـ ... يمُ ، وكاد تَذْرُوهُ الأعاصِرْ

وتراه من فرط الهزا ... لِ تكاد تثقبُهُ المَوَاطرْ

[1] نفسه ص ٢٨٧

عجباً أيفترسه الطـوى	في قلبِ حَاضِرَةِ الحواضَـرْ
كم مثله تحت الـدُّجَى	أسوان بـادي الضُّرِّ طائـر
حزيانَ ، يخرجُ في الظـلا	مِ خروج خُفَّـاشِ المغـاوِرْ
متلفعـا جلبـابَـهُ	مترقبا معروفَ عـابـرْ
يقـذى بـرُؤيته فـلا	تلْوِي عليـه عَيْـنُ نَـاظِـرْ [1]

ونحن نرى تركيزه على مظاهر بؤس هذا الطفل الجائع الهزيل الـرث الثياب ، وحافظ هنا يلجأ إلى التصوير للتأثير في سامعيه عندما يلقى قصـيدته . وتتضح مبالغاته من قوله :

إني أعـد ضلوعـه	من تحتها والليل عاكر

فهو يرى ضلوعه باديه من تحت أسماله التى لا تستر شيئاً ، وهو يعـد أضلاعه والليل شديد الظلام ، وكأنه يريد أن يقول إن مظاهر بؤسه ظـاهرة لا خفاء فيها ويقول :

أبصرت هيكل عظمه	فذكرتُ سُكَّانَ المقابرْ
فكأنمـا هـو ميـتٌ	أحياه عيسى بعد عَـاذَرْ

ولا شك أن " حافظ " إنما يريد من الأغنياء الإشفاق على هـذا الطفـل وأمثاله والمبالغة تلعب دورها هنا ، كما يلعب التصوير دوره كذلك .

---

[1] نفسه ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤

ولا ينسى الفتاة أو الأنثى في هذا المجال ، متبعاً الأسلوب نفسه الذى اتبعه في القصيدة السابقة لكنه هنا يجرى حواراً مع الفتاة ، مصوراً إشفاقه عليها ومساعدتها لتخرج من محنتها : يقول :-

شَبَحاً أرى أم ذاك طيفُ خَيَالِ ... لا ، بل فتاة بالعراء حِيالي

أمست بِمَدْرَجَةِ الخطوب فمالها ... راعٍ هناك ، ومالها مِنْ والي

حسرى ، تكاد تعيد فحمةَ لَيلِها ... ناراً بأنَّاتٍ ذَكَيْنَ طِوَالِ

ما خطبها ، عَجَباً ، وما خطبي بها ؟ ... مالي أشاطِرُها الوجيعةَ مالي

دانيتها ولصوتها في مسمعي ... وَقْعُ النبال عَطَفْنَ إثْرَ نِبَالِ

وسألتها ؟ من أنت ؟ وهي كأنها ... رَسْمٌ على طَلَلٍ من الأطْلَالِ

فَتَمَلْمَلَتْ جَزَعاً وقالت : حَامِلٌ ... لم تَدْرِ طَعْمَ الغَمْضِ مُنْذُ ليالِ

قد مات والدُهَا ، وماتت أمها ... ومضى الحِمَامُ بعمها والخَالِ

وإلى هنا حَبَسَ الحياءُ لسانها ... وجرى البكاءُ بدمعها الهطّال

فعلمتُ ما تخفي الفتاة وإنما ... يحنو على أمثالها .. أمثالي

ووقفْتُ أنظرها كأني عابدٌ ... في هيكلٍ يرنو إلى تمثال

ورأيتُ آيات الجمال تكفَّلَتْ ... بزوالهن فوادِحُ الأثقالِ

لا شيء أفْعَلُ في النفوس كقامَةٍ ... هيفاء رَوَّعَها الأسى بهُزَال

أو غادة كانت تريك إذا بَدَتْ ... شمس النهار فأصبحت كالآلِ

قلت : انهضي ، قالت : أينهض ميت ... من قبره ، ويسير شنٌّ بالي

فحملت هيكل عظمها وكأنني ... حُمِّلْتُ حين حَمَلْتُ عُودَ خِلالِ [1]

ثم يختم قصيدته بعد أن يذكر أنه حملها لضعفها عن النهوض وعجزها عن المشى إلى دار رعاية الأيتام فلقيت الرعاية ، والدواء وما تحتاجه من خدمات ، بحثه الأغنياء على مساعدة الفقراء والمحتاجين : فيقول :

إني أرى فقراءكم في حاجة ، ... - لو تعلمون - لقائل فَعّالِ

فتسابقوا الخيرات فهي أمامكم ... مَيْدانُ سبْقٍ للجواد النّالِ

والمحسنون لهم على إحسانهم ... يوم الإثابة عشرة الأمثال

وجزاء رب المحسنين يَجِلُّ عن ... عد ، وعن وَزْنٍ ، وعن مكيالِ [2]

وحافظ هنا يقدم المرأة الحسناء التى أخنى عليها الدهر ولم يَحْنُ عليها أو يرعاها أَحَدٌ وهى حامل عجفاء بفعل الفقر والحرمان حتى إنها لتعجز عن السير على قدميها . وهو يصور معاناتها في أروع صورة ، ويعتمد على التصوير فهى طيف خيال أو شبح من شدة الهزال ، ولا راعى لها متعبة تزفر زفرات كأنها النيران المشتعلة وهى رسم على طلل من الأطلال ، وهى حامل مشردة لم تذق للنوم طعماً منذ ليال ، وهى جميلة يدل على جمالها علامات ما تزال باقية رغم

---

[1] ديوان حافظ جـ ١ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦

[2] نفسه ص ٢٧٩

ظروفها القاسية ، وهي ميت خرج من قبره ، أو شـن بـال ،أى قربـة قديمـة مستهلكة بالية . وهى هيكل عظمى لا يعسر على الشاعر أنْ حمله أو هى عـود خلال ، كما كان وجهها كالشمس إشراقاً فتغير حالها ، كما أنها كانت تملك قامة هيفاء ، لم يبق ما يدل على جمالها بسبب الفقر والحرمان .

ومن موضوعاته تلك ، وأعنى بها الفقير الذي لا يجد قريبـاً ولا أهـلاً ويعانى حتى يصبح بائساً أو يوشك على الهلاك موضوع الفقير الذي فقـد أهلـه كالمرأة السابقة وتحمل مشاق الحياة وَحيداً . يقول في مطلعها :

قضيت عهد حداثتـي ... مـا بيـن ذُلٍّ واغتـرابْ

لم يغن عنى بين مَشْـ ... ـرِقِهَا ومغربها اضطرابْ

صفرت يدى ، فخوى لهـا ... رأسى وجو في والوِطـابْ

وأنا ابن عشر ليس في ... طوقى مكافحةُ الصِّعابْ

لـم يبـق من أهلى سوى ... ذِكْر تناسـاه الصحـابْ

أمشي بـرنحـى الأسـى ... والبؤسُ ترنيم الشرابْ

فلكـم ظللـت علـى طَوى ... يومى وبِتُّ علـى تبـابْ

والجـوع فَـرّاسٌ لــه ... ظُفْرٌ يَصُولُ بـه ونَـابْ

فكأنّه في مهجتي نَصْلُ تَغَلْغَلَ للنصابْ[1]

ومسلكه الفنى لا يختلف عن مسلكه في القصائد السابقة سوى أنه يجعل هذا الفقير المسكين يروى مأساته بنفسه ، مصوراً ما حل به من سوء نتيجة الفقر والحرمان .

وله قصائد أخرى عن ملجأ الطفل (أو ملجأ الحرية) كما كان يسمى وهذه القصيدة نشرت في ١٩١٩م [2] وله قصيدة أخرى في جمعيّة إعانة العميان نشرت سنة ١٩١٦ أى في اليوم التالى لإلقائها . [3]

وله قصيدة أخرى عن غلاء " الأسعار" : يقول في مطلعها :

أيّهَا المطعمون ضاق بنا العيْـ ... ـشُ ولم تحسنوا عليه القياما

عزّتْ السلعة الذليلة حتى ... بات مَسْحُ الحذاءِ خطْباً جُساما

وغدا القوتُ في يد الناس كاليا ... قوتِ حتى نوى الفقير الصياما

يقطع اليوم طاويا ولديه ... دون ريح القُتَارِ ريح الخزامى

ويخال الرغيف في البعد بدْراً ... ويظُنُّ اللحوم صَيْداً حراما

أيّهَا المطعمون أطعمتم الأر ... ضَ وَيتَّمْ عن النفوس نياما

---

[1] نفسه ص ٣٠٢

[2] نفسه ص ٣٠٧

[3] نفسه ص ٣٠٦

أطلعوا أنفساً أضرّ بها الفـــقـ ـــو ، وأحيا بموتها الآثاما [1]

وقضية غلاء الأسعار في صميم المشاكل الاجتماعية للشـــعوب ؛ لأنهـــا تحمل الناس فوق طاقتهم ، وتحملهم مالا يحتملون ، ونرى "حافظ " يبالغ ، ولكنه يصور الواقع أجمل تصوير .

ويعجب بالنذور التى يقدمها العامّة وغيرهم في صناديق أضرحة الأولياء ، ويرى في هذا موقفاً عجبا ؛ لأن الفقير لا يجد من يمد يده له بالمساعدة ، في حين تتدفق النذور على الأموات فيقول :

أحياؤنا لا يرزقـــون بـدرهـم	وبـألف ألف تـرزقُ الأمـــواتُ
من لي بحظ النـائمـيـن بحفـرة	قامت على أحجارها الصلـواتُ
يسعى الأنام لها ، ويجرى حولها	بحر النذور ، وتقـرأ الآيـاتُ
ويقالُ هذا القُطْبُ بابُ المصطفى	ووسيلة تقضى بها الحاجاتُ [2]

وهى عادة اجتماعية ما تزال تجرى في المجتمع المصرى حتى اليـــوم . وقد كان حافظ يرى أن توجه هذه الأموال لفقراء المجتمع أو إلـــى المشـــروعات النافعة .

---

(1) نفسه ص٣١٦

(2) نفسه ص ٣١٨

ويقول في الحث على تعضيد مشروع الجامعة وقد نشرت في عام ١٩٠٧م . ويوضح أهمية هذا المشروع العلمى الهام :

ثم يختم القصيدة بقوله :

يامصرُ هل بعد هذا اليأس مُتَّسَعٌ يجرى الرجاء به في كل مضطرب

لا نحن موتى ولا أحياء تشبهنا كأننا فيكِ لم نشهد ولم نَغِب

نبكي على بلدٍ سالَ النُّضارُ بهِ للوافدينَ وأهلوه على سغَب

متى نراه وقد باتت خزائنه كنزاً من العلم لا كنزاً من الذهب

هذا هو العمل المبرور فاكتتبوا بالمال إنّا اكتتبنا فيه بالأدب [1]

وهناك نغمة حزينة تجرى في شعر الشاعر كعدم رضاه عمّا كان يجرى فى مصر عندئذ من استغلال الأجنبي لأموال البلاد ومن استكانة الشعب لما يجرى دون أن يحاول التغيير ، وقد كان "حافظ" ثائراً قديماً دفع ثمن ثورة فقراً وتشرداً وحرماناً وحافظ يريد قولاً يؤيده العمل ، لا تباكيا تطلعه الأنفس لا يدل على شيء ، وإنما هو ضرب من الثرثرة لا جدوى منه يقول :

سمعتُ أن امرأً قد كان يألَفُهُ كلبٌ فعاشا على الإخلاص واصطحبا

فمرَّ يوماً به والجوع ينهَبُهُ نَهْباً فلم يُبْقِ إلا الجِلْدَ والعَصَبا

---

[1] نفسه ص ٣٦٧ ، ٣٦٨

فَظَلَّ يبكي عليه حين أبصرَهُ ... يزولُ ضعفًا ويقضي نَحْبَهُ سغبا

يبكي عليه وفي يمناه أرغفة ... لو شامها جائع من فرسخ وثبا

فقال قومٌ وقد رقُّوا الذي ألم ... يبكي، وذي ألم يستقبل العطبا

ما خطب ذا الكلب؟ قال: الجوع يخطفه

مني وينشب فيه الناب مغتصبا

قالوا: وقد أبصروا الرغفان زاهية

هذا الدواء، فهل عالجته فأبى؟

أجابهم ودواعي الشح قد ضربت ... بين الصديقين من فرط القِلَى حُجُبَا

لذلك الحد لم تَبْلُغْ مودتنا ... أما كفى أن يراني اليوم منتحبا

هذي دموعي على الخدين جاريةً ... حُزْنًا وهذا فؤادي يرتعي لَهَبَا

أقسمت بالله إن كانت مودتنا ... كصاحب الكلب ساء الأمْرُ منقلبا

أعيذكم أن تكونوا مثله فترى ... منكم بكاء ولا نلقى لكم دأبا(1)

وهذا مثل طيب يضرب به حافظ لكل من يتباكى على حال وطنه، ثم لا يقدم لهذا الوطن شيئا، وإن كان بمقدوره أن يفعل، فالدواء بيده، وهو المال والجهد، ويستطيع أن يدفع وطنه إلى الأمام أمَّا الكلام فلا ترقى به الأمم، وإنما لابد أن تتبع الأقوال الأفعال.

---

(1) نفسه ص ٢٧٥

وفي المعجم نجد السياسة بمعنى إدارة شئون الناس ، والرئاسة علـيهم . فمادة السَّوْسُ: تعني الرئاسة . وتعني السياسة القيام على الأمر بما يصلحه ، وقد تدل على التجربة [1] " وفي الحديث كان بنو إسرائيل يسوسـهم أنبيـاؤهم ، أي تتولي أمورهم كما يفعل الولاة والأمراء بالرعية ." [2]

وهي معان قد تتطابق تقريباً مع مفهوم السياسة الآن . فالسياسة تهتم بأمر الشعوب فتهيئ لهم الخدمات المختلفة من تعليم وصحّة واقتصاد وخدمات أخـرى متنوعة ، كما تتعلّق بأمور الدفاع عن المجتمع وحمايته من الأعـداء ، وتحقيـق الأمن والضرب على يد المفسدين وغيرها من الأمور المختلفة كالتعليم وغير ذلك ، وهي أمور لم تكن مفهومة بهذا المعنى في العصور القديمة .

ويمكن أن نقول إنّ أمور الحرب قديماً تعد من أمور السياسة ، ولما كانت القبيلة وحدة مستقلة لها أعرافها ولها نظمها السياسيّة فإن الحرب بين القبائـل أو إتمام الصلح بينها يعد سياسة حتى بالمفهوم الحديث . ومن ثم يمكـن القـول إن الحرب التى وقعت بين " عبس " و "ذبيان " وهما قبيلتان عربيتان فـي العصـر الجاهلي ، وقيام هرم بن سنان ، والحارث بن عوف بإصلاح ما بين القبيلتـين ،

---

[1] انظر لسان العرب . مادة سوس . طبعة دار المعارف ص ٢١٤٩ وما بعدها .

[2] نفسه ص ٢١٤٩

متحملين ديات القتلى يعد أمراً سياسياً لأنه متعلق بالحرب بين قبيلتين تمثل كل واحدة منهما كياناً مستقلاً يشبه الدولة .

وقد قام زهير بن أبي سلمى المزني بالإشادة بالرجلين ومدحهما كما ذمّ الحرب ، ونفر منها العرب حتى يكفوا عنها يقول :

سعى ساعِياً غيظ بن مرة بعدما تبزّلَ ما بين العشيرة بالدّم

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجالٌ بَنَوْه من قريشٍ وَجُرْهُم

يميناً لنِعم السيدان وُجِدْتُماَ على كل حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرَم

تداركتما عَبْساً وذبيانَ بَعْدَمَا تفانوا ودقُّوا بينهم عطر مَنْشَم

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً بمالٍ ومعروفٍ من القولِ نَسلَم

فأصبحتما منها على خيرِ موطنٍ بعيدين فيها من عُقُوقٍ ومأثَم

عظيمين في عُلْياً مَعَدٍّ هديتما ومن يستبح كنزاً من المجدِ يعظُم[1]

وهو هنا يمدح الحارث بن عوف ، وهرم بن سنان لأنهما أوقفا هذه الحرب ، ولأنهما تداركا القبيلتين المتحاربتين بعدما كاد يفنى بعضهم البعض ، فنالا على فعلهما مكانة عالية بين العرب ، كما أنهما كانا حريصين على إنقاذ أهلهما من العرب من ويلات الحرب وبذلك لم يكونا عاقين ولا آثمين .

---

[1] ابن الأنباري . شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات . تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٩ ص ٢٥٢- ٢٦٢

ولا ينسى زهير في هذا المقام إن ينفر من الحرب وأن يصور الأضرار التي تلحق المتحاربين بسببها ويحذر قبل ذلك من نقض الصلح ، أو أن يكون الصلح غير حقيقيّ بينما يتربص بعض المتصالحين ببعض ، فإن الله يعلم كل شيء ولا تخفي عليه خافية : يقول :

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة   وذبيانَ هل أقسمتُم كُلَّ مُقْسَمَ

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم   ليخفي ومهما يُكْتَم الله يَعْلَمِ

يؤخّر فيوضع في كتاب فَيُدَّخر   ليوم حسابٍ أو يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

وبعد أن يحذر الناس من نقض العهد وما يلقاه من ينقض الاتفاق من عقاب الله الذي سوف يحاسب ناقض العهد يوم القيامة ، يعود لتحذيرهم من الحرب ويصورها في صورة قبيحة بشعة مصوراً الأضرار التي تلحقها بالمتحاربين . من قتل ويتم وغيره . فيقول :

وما الحرب إلا ما علمتم وذُقْتُمُ   وما هو عنها بالحديث المُرَجَّمِ

متى تبعثوها تبعثوها ذميمَة   وتضر إذا ضرَّيتموها فَتَضْرَمَ

فتعرككم عرك الرَّحى بِثِفَالِهَا   وتلقح كشافاً ثم تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

فَتُنْتِجْ لكم غلمان أشأمَ كلُّهم   كأحمر عادٍ ثم ترضع فتفطم

فَتُغْـلِلْ لكم مالاً يُغِـلُّ لأهـلها   قرى بالعراق من قفيـز ودرهـم[1]

وهو يحدثهم عن الحرب مشيراً إلى أنهم عالمون بها عـارفون بآثارهـا السيئة ، وأنهم لا يسمعون منه كلاماً لا دليل عليه ، بل الدليل عنـدهم قبـل أن يكون عنده ، فالحرب عندما تبعث تكون حيواناً نميماً ، فهي تطحن المتحـاربين كما تطحن الرّحى ما يلقى إليها من الحبوب ، ثم هي تخالف الرَّحى في أنها تترك لهم شرورًا لعينة تصيبهم وتكون غلتها غلّة سيئة لا غلّة كالغلـة التـي يعرفهـا الناس . وكأنه يريد أن يقنعهم بشرور الحرب حتى يكفوا عنها وحتّى لا ينقضوا العهد .

وقد يري بعض الناس أن قول زهير :

ومن لا يَذُدْ عن حوضه بسلاحـه

يُهَـدَّم ومن لا يَظْلم الناس يظلم [2]

معناه أنه لا يؤمن إلا بالقوة ، وأنه لا يؤمن بالسلام إذ يقول ومن لا يظلم الناس يظلم كأنه يريد للناس أن يعتدي بعضهم على بعض وأن يظلـم بعضـهم بعضا . ولو أنه اكتفي بقوله : ومن لم يَذُدْ عن حوضه بسلاحه يهدم ، لكان قوله

---

[1] نفسه ص ٢٦٧ – ٢٧١

[2] نفسه ص ٢٨٥

معقولا ، فلابد من أن يدافع الإنسان عن نفسه وعن حقه وعن مالـــه . وإلا فمـــا الفرق بين قوله هذا وقول عمرو بن كلثوم :

بُغَاةً ظالميـــن وَمَـــا ظُلِمْنَـــا ولكنّـــا سنبـــدأ ظالمينـــا[1]

فهذا رَجُلٌ لا يؤمن إلا بالقوة ، وأنها هي التي تحكم الحياة وأنه مـــا دام المرء قادراً على أن يفعل كل شيء من بَغْيٍ وظلم فإنه يفعله . ولكن يمكـــن أن يقال إن زهير الذي كان يعيش في مجتمع تحكمه القوة ، ولا حياة فيه لضـــعيف إنما يصور طبيعة هذا المجتمع . ولذلك فهو مفتون بالشجاعة والشجعان ولـــذلك يصف الفارس الشجاع بقوله :

لدى أســـد شاكى الســـلاح مقـــذف

لـــه لبـــد أظـــفَارُهُ لـــم تُقَـــلَّـمِ

جرئ متى يُظْلَـــمْ يُعَاقِـــبْ بظلمِـــه

سَـــرِيعـــاً و إلا يُبْدَ بالظُّلْـــمِ يَظْـــلـــمِ [2]

فهو شجاع كالأسد تام السلاح مستعد للقتال والدفاع عن نفسه ، لكنه أيضاً إن لم يبدأه أحد بظلم بدأه هو بالظلم والعدوان وهو أمر سغريب حقاً لكن قد يفسر

---

[1] نفسه ص ٤٢٧

[2] نفسه ص ٢٧٨ – ٢٧٩

هذا المسلك منه ، طبيعة المجتمع الجاهلي وإيمان الشاعر بأن القوة تكون لها المهابة والسيادة دائماً .

قلنا إننا نستطيع أن تعتبر حديث الشاعر عن الحرب بين قبيلتين وإتمام الصلح بينهما أمراً من شئون السياسة ، ولكن الأحزاب السياسيّة لم تظهر بحق إلاّ في العصر الأموي حيث قامت الدولة الإسلامية ، وحيث ظهرت الأحزاب التي تمثل وجهة نظر فيما ينبغي أن يكون عليه الحكم ، وكيف تساس الدولة . وخصوصاً بعد الصراع الذي دار بين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان ،حول الخلافة ، وهو الأمر الذي انتهى باستيلاء معاوية على الخلافة ، بعد حرب طاحنة بينه وبين عليّ رضي الله عنه ، وبخاصة بعد التحكيم الذي كان من ثمرته نشأة الخوارج ، الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب لقبوله التحكيم :" إن الذي يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها إكفار عليّ وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل ، وكل من رضي بتحكيم الحكمين ، والإكفار بارتكاب الذنوب ، ووجوب الخروج على الإمام الجائر . وقال شيخنا أبو الحسن الذي يجمعها إكفار عليّ وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم وصوّب الحكمين أو أحدهما ، ووجوب الخروج على السلطان الجائر ..." (١)

---

(١) البغدادي . الفرق بين الفرق . درا الجيل . بيروت لبنان ١٩٨٧ ص ٥٥

فأفكار الخوارج تدور حول رفضهم التحكيم ، ورفض خلافة من يرى التحكيم صحيحاً ، والدعوة إلى الثورة على الحاكم الجائر ، وتكفير مرتكب الذنوب ، وإن كانت هذه الفكرة الأخيرة محلّ خلاف بين الباحثين ، وبين فرق الخوارج [1].

فهذه فرقة سياسيّة تخالف غيرها من المسلمين على أساس ديني معتقدين أنهم هم المسلمون حقاً ، وأن غيرهم من المسلمين ليسوا مسلمين ، كما أنهم يرون أن الخلافة ليس من الضروري أن تكون في قريش ، بل يمكن أن يكون الخليفة أيّ فرد من المسلمين حتى ولو كان عبداً .

---

[1] نفسه ص ٥٧ ، ٥٨

عنترة بن شداد العَبْسي ، الجاهليّ

عنترة شاعر له اتجاه سياسيّ – في رأي البعض ، وهو رأي أدني إلى التطرف منه إلى الاعتدال – فعنترة بن شداد العبسي كانت أمُّهُ أَمَةً ، وكان العرب لا ينسبون أبناء الإماء إليهم إلا إذا أنجبوا ، وظل عنترة يصارع في قبيلته حتى اعترف أبوه بنسبه ، وهي قضية اجتماعية إلا إذا نظرنا إلى المساواة على أنها مبدأ سياسي . فهل كان عنترة يريد إرساء هذا المبدأ ؟ ، وهل نجح في تحقيقه ؟ الواقع أن عنترة ظل يعبر عن حزنه لهذا الموقف من قبيلته حتى بعد أن صار فارس القبيلة وحامي حماها . وهو ما كان عنترة يعبر عنه في شعره . فيقول :

إذ يتقون بيَ الأسنّةَ لم أخِمْ	عنها ولكني تضايق مقدمي
لمّا رأيتُ القوم أقبل جمعهم	يتذامرون كررتُ غير مُذَمَّمِ
يدعون عنتر والرماح كأنها	أشطان بئرٍ في لبانِ الأدْهَمِ
مازلت أرميهم بثغرة نحره	ولبانِه حتى تَسَربْلَ بالدَّمِ
فازورّ من وقْعِ القنا بلبانه	وشكا إليّ بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكي	ولَكَانَ لو علم الكلام مكلمي

ولقد شفى نفسي وأذهب سُقْمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم [1]

فالفوارس تحتمي به من أسنة الأعداء ، وهو يَكِرُّ على العدو كر الفارس الشجاع الذي لا ينم على جبن أو تخاذل ، والفرسان تناديه طلباً لحمايته ، في حين تكون المعركة حامية الوطيس ، حتى شكا له حصانه ما يلاقيه في تلك المعركة القاسية . وهي يصورها من خلال إحساسه بما يعانيه فرسه من الآلام والجراح . وهو يصور نفسه بالفارس الذي لا يدانيه فارس آخر . ومن ثم يشعر عنترة بالسعادة ، وبأنه نفسه تجد شفاءها في مثل تلك الحال ، فيشعر بالرضي .

ويتسم هذا الفارس الذي يدعو إلى المساواة بسمات تؤكد امتيازه على غيره ، كالشجاعة ، وعفة النفس ، والبعد عن المعايب . فيصف نفسه بحسن العشرة ، وبأنه يأنف من الظلم ، وبأنه وإن كان يشرب الخمر ، فإنه لا يعربد ولا يفعل ما يفعله من تلعب الخمر بلبه ، كما أنه كريم متى أفاق من أثرها . فيقول :

أثنى عليَّ بما علمت فإنني سمح مخالقتي إذا لم أظلَم

وإذا أظلمتُ فإن ظلمي باسِلٌ مر مذاقته كطعم العلقم

فإذا شربتُ فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يُكْلَم

[1] ديوان عنترة . دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت . لبنان ١٩٧٨ ، ص ٢٩ ، ٣٠

وإذا صحوتُ فما أقصِّر عن ندىً ‏ ‏ وكما علمتُ شمائلي وتكرُّمي[1]

وله قصيدة أخرى مشكوك في صحتها . تصور شجاعته وحبه للقتـــال ، وحسن بلائه فيها فيقول :

أنا في الحـــرب العـــوان ‏ ‏ غيـــر مجهـــول المكـــان

أينـمـــا نـــادى المنـــادي ‏ ‏ فـــي دجى النقـــع يراني

وحسامـــي مـــع قـــناتـــي ‏ ‏ لفعـــالي شـــــاهـــدان

إننـــي أطعـــن خصمـــي ‏ ‏ وهـــو يقـــظـــان الجـــنان

إلى أن يقول :

خـــلـــق الـــرمـــح لكـــفـــي ‏ ‏ والحســـــام الهنـــدوانـــي

ومعي فـــي المـــهـــد كـــانـــا ‏ ‏ فـــوق صـــدري يؤنسانـــي

فـــإذا مـــــا الأرض صـــارت ‏ ‏ وردة مـــثـــل الـــدهـــانِ

والـــدمـــا تجـــري عليهـــا ‏ ‏ لـــونُهَـــا أحـــمـــرُ قـــانـــي

فاسمعانـــى نغـــمـــة الأســـ ‏ ‏ ـــياف حتى تطربـــانـــي

أطيـــب الأصـــوات عنـــدي ‏ ‏ حسن صـــوت الهنـــدوانـــي[2]

---

[1] نفسه ص ٢٣ ، ٢٤

[2] نفسه ص ٢٢١ ، ٢٢٢

وواضح انه معتز بشجاعته مدل بها ، فَكَأنَّهُ خلق للحرب والقتال ، فهـو يطرب لسماع قراع السيوف ، وهو أخبر الناس بالسيوف وبكيفية استعمالها . ولا يفزع لرؤية الدماء بل يزداد ضراوة لدي رؤيتها ، وهو دائماً يلبي نداء المستغيث ، حيث يراه في غبار المعركة يؤدي شجاعته .

وعلى أية حال فإذا اعتبرنا أن عنترة يدافع عن مبدأ المساواة في مجتمع لا يؤمن بالمساواة بين الحرّ والعبد ، أو بين ابن الأمة وابن الحرة ، فإن بعـض الباحثين يرى أنه رغم شجاعته لم يتزوج من عبلة ، وإنما حرم منها . وهكذا لم يستطع بشجاعته أن يحقق المساواة الكاملة حيث رفض والـد عبلـة حبيبتـه أن يزوجه إياها لأن أمه أمةٌ ، وإن كان عنترة ابن أخيه : ولذلك نجده في شعره يذم من تزوجته : فيقول :

أيأخـــذ عَـبلَــةً وَغْـدٌ نمـيم   وَيَحْظَى بالغنى والمـال دونـي

فكم يشكـو كـريـم مـن لئيـم   وكم يلقي هجان مـن هـجـين [1]

والبيتان ربما كانا غير موثوق بهما ، ولكنهما تعبران عما ذكرناه من أنه لم يقترن بها .

---

[1] نفسه ص ٢٣٤

وفي ديوانه أشعار تشير إلى حرب بين العرب والأعاجم أبلي فيها عنترة بلاء حسناً ، وكلها أشعار غير موثوق بها مثل قوله :

سلـــي يا عبلـــة الجبليـــن عَنّـــا ... وما لاقت بنـــو الأعجـــام منّـــا

أبـــدنـــا جمعهـــم لمّـــا أتونـــا ... تمـــوج مـــواكب إنســـاً وجنـــاً

ورامـوا أكلنا مـــن غـــير جـــوع ... فأشبعناهـــم ضربـــاً وطعـنـــا

ضربنـــاهم ببيـــض مرهفـــات ... تقدُّ جسومهم ظهـــراً وبـــطنـــا

وفرقنا المواكب عـــن نســـاء ... يزدن على نساء الأرض حُسْنَـــا[1]

وهي أشعار يغلب الطابع الشعبي عليها ، وليس لها صلة موثـــوق بهـــا بالتاريخ . وإن كانت مثل هذه المقطوعات لها مغزى سياسيّ .

---

[1] نفسه ص ٢٣١ وانظر أيضاً ص ١٨٤ يخاطب فيها بني الأعجام وهي منتحلة

المتنبي

المتنبي ، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجُعْفي . شاعر عراقي ولد سنة ٣٠٣هـ وتوفي ٣٥٣هـ ، وهو شاعر القرن الرابع الهجري بلا منازع . أثار الكثير من الأقوال حول مذهبه السياسي والعقائدي . ولكن المتنبي مهما قيل حوله لابد أن يكون له موقف سياسيّ مما كان يجرى حوله . وبخاصة وأن العرب لم يكن لهم السلطان عندئذ ، بل تغلب على السلطان الموالي . ولاشك أن المتنبي العربي كان يتمنى أن يكون السلطان للعرب سواء على يد الخليفة العباسيّ العربي ، أو على يد ولاته من العرب ، لكن تلك أمنية لم يكن تحقيقها سهلاً في ذلك الزمان .

ولم يكن المتنبي الشاعر الذي كان يقدر لشعره فحسب أن يغير الأمر الواقع ، ولعله قبله على مضض ، ووطن نفسه على أن يحيا كشاعر فحسب ، وعندما وعده كافور بالولاية ترك سيف الدولة وذهب إليه وهو حاكم أعجميّ ومدحهُ بقصائد رائعة . من مثل قوله :

ترعرع الملك الأستاذ مكتهلا	قبل اكتهال أديباً قبل تأديب
مُجَرِّبا فهما من قبل تجربة	مهذبا كرما من قبل تهذيب
حتى أصاب من الدنيا نهايتنا	وهمُّهُ في ابتداءات وتشبيب

يـــدبر الملك من مصر إلى عدن ... إلى العراق فأرض الـــروم فالنُّـــوبِ

إذا أتتها الرياح النكب مـــن بلـــد ... فما تـــهـــب بهـــا إلا بتــــرتيـــبِ

ولا تجاوزها شمـــس إذا شَرَقَـــتْ ... إلا ومنه لهـــا إذن بتـــغـــريـــب [1]

ويقول فيه أيضاً :

وأظلم أهل الظلم من بات حاســداً ... لمـــن بـــات فـــي نعمائه يتقلّـــبُ

وأنت الذي ربيت ذا الملك مرضعاً ... ولـــيـــس له أم هـــنـــاك ولا أبُ

وكنـــت له ليـــث العرين لشبلـــه ... ومـــا لك إلا الهندوانـــيَّ مِخْلَـــبُ

لقـــيت القنا عَنْهُ بنفـــس كريمة ... إلى الموت في الهيجا من العار تهرُبُ

وقد يترك النفس التي لا تهـــابـــه ... ويخترم الـــنفـــس التـــي تتهـــيَّـــبُ

وما عدم اللاقـــوك بأســـاً وشـــدة ... ولكـــن مـــــن لاقوا أشـــدُّ وأنجب[2]

والمتنبي يصف كافور بالذكاء والدهاء وحسن السياسة ، فهو يحمي مصر مما تَعرض له ، ويحسب لكل حادثة حسابها ، ويعرف كيف يواجهها ، كما يصفه بالخبرة الواسعة ، وبالوفاء لابن الإخشيد الذي كان يحكم البلاد باسمه ، ويصوره في حرصه على حمايته بحرص الأسد على حماية شبله ، وكيف أنه كان يفتديـــه بنفسه ، كما يصفه بالشجاعة والقوة ، في شعر رائع حقاً : يقول :

---

[1] ديوان أبي الطيب المتنبي . شرح العكبري . ط . دار الفكر ، بيروت . د . ت ١٧٠ ، ١٧١

[2] نفسه ص ١٨٥ .

وليتك ترعاني ، وحيرانُ مُعْـرِضٌ   فتــعلم أنى من حســامكَ حَدُّهُ

وإنـــي إذا بــاشــرت أمراً أريده   تدانــتْ أقاصيــه وَهَانَ أشَــدُّهُ

ومــازالِ أهــل الدهر يشتبهون لي   إليــك فلما لحت لي لاحَ فَــرْدَهُ

يقــالُ إذا أبصرتُ جيــشــاً وَرَبَّــهُ   امامك رَبّ رَبُّ ذا الجيــش عَبْدُهُ

والقــى الفَــمَ الضحّــاك أعْلَمْ أنّــهُ   قريبٌ بذي الكَفُّ المُفَــدَّاةِ عَهْدُهُ

فــزارك مني من إليــكَ اشتيــاقُه   وفي الناس إلا فيك وحــدك زُهْدُهُ

يُــخَلِّفُ مــن لم يــأتِ دارك غايــةً   ويأتي فيــدري أن نلــك جُهْــدُهُ

فإن نِــلْــتُ ماءأمَّــلْتُ منــك فربما   شــربت بماءٍ يعجِــزُ الطير وِرْدُهُ

ووعــدك فِعْــلٌ قبلَ وَعْـــدٍ لأنه   نظير فَعَالِ الصادقِ القولِ وَعْــدُهُ

فَكُنْ في اصطناعي محسناً كمجرب   يبن لــك تقريــب الجواد وشَــدُّهُ

إذا كنت في شك مــن السيف فَابْلُــهُ   فــإمَّا تنــفّيــهِ وإمــا تعُــدُّهُ

ومــا الصــارم الهندي إلاّ كغيــره   إذا لــم يفارقه النجــادُ وغِمْــدُهُ

وإنـــك للــمشــكور فـــي كل حالةٍ   ولو لم يكــن إلا البشاشة رِفْــدُهُ

فكــل نــوالٍ كــان أو هــو كــائــن   فلحظَةُ طرف مِنْــكَ عنديَ نِــدُّهُ

وإنـــي لفـــي بحر من الخيــر أصله   عطاياك أرجو مدها وهي مَـــدُّهُ

وما رغبتي في عسجد أستفيده ... ولكنها في مفخرٍ أستجده [1]

وهي قصيدة يحاول فيها المتنبي ان يحث كافوراً على منحه الولاية التى يريدها ولكنه حث رقيق ، يحاول فيه ألا يتجاوز الحدود التى تغضب كافوراً عليه . ولذلك فإنه يريده أن يجربه ، فهو كالسيف لا تظهر جدارته وقوته إلا بالتجربة ، ولكنه يتحفظ فيكتفي ببشاشة كافور فمن كافور كل ما يمتلك ،ولكنه لا يسأل المال إنما يسأل في الحصول على ما يفتخر به وهو أن يكون والياً له . ولا ينسي في هذا المجال أن ينوه بكرم ممدوحه ، حتى لا يقال إنه يحرمه او يبخل عليه ، ويعتبر وعده شيئاً محققاً أو كشي متحقق فعلاً .

إنّ المتنبي كان شاعراً مدّاحاً ولكن الباحثين يرون لـه أفكـاراً سياسـيّة كتعصبه للعرب ، ورغبته في أن يكون حكام العـالم الإسـلامي عربـاً [2] وأن يستعيدوا سلطانهم المسلوب : " وكأني بالمتنبي في طريقه يظهـر فـي القبائـل والمدن أمر نسبه ، ويذيع بينهم أنه علوي الأصل شريف النسب ، محتالاً لـذلك بالدهاء ، مجتهداً في اتخاذ العضد قبل أن يعلن أمره إعلاناً صريحاً ، لئلا يواقعه العلويون ، وينزلون به كيدهم الذي يكيدون له ، دار في البلاد التـي ذكرناهـا ، وأمره على علو ، لما عرف من فصاحته وبلاغته ، وحسن سمته ، وجمال هدية

---

[1] ديوان المتنبي ، جـ ٢ ص ١٢٦ – ١٣٠

[2] انظر محمود شاكر المتنبي . جـ١ . ص ١٠٢

، وتوقد ذكائه ، وما يمتاز به من حسن المعاشرة ، ولطيف المنادمة ، مع سـعة العلم ، ودقة الفهم له ، وكان في القبائل البادية أظهر أمراً ، وأشد عضداً ، حتى كان آخر أمره ببني عدي ، وبني كلب ، ففشا ذكره بينهم ، وبايعوه على العون له ، في الدعوة إلى رد الحكومة إلى العرب دون الأعاجم ، وكان ظهوره في بنـي عدى هو الذي جلب عليه السجن والشقاء "[1]

وفي هذا النّص ما يشهد على أن محمود شاكر قد أسبغ دوراً كبيراً على المتنبي ، ما كان المتنبي يستطيع أن يقوم به وهو فرد يريد أن يتخـذ الأعـوان وليس له في الواقع أعوان .

وقد ذكرنا رأي محمود شاكر الذي يرى فيه أن المتنبي كـان يريـد رد سلطان العرب إليهم باستمالة القبائل إليه حتى يخلص الأمة الإسلامية من سلطان الأعاجم . كما يري جان لسيرف أن المتنبي وهو عربي كان متعصباً للعرب [2] وأن هذا التعصب جعله يترفع عن مدح غير العرب . وإذا كان من الطبيعـي أن يتألم المتنبي لزوال سلطان العرب في زَمَنِه ، وتغلّب الأعاجم علـى السـلطان ، وعلى الخليفة في بغداد ، فإن من المبالغة القول إنه كان يترفع عن مـدح غيـر

---

[1] نفسه ص ١٠٢

[2] جان لسيرف : مجلة المورد العراقية . المغزى التاريخي للعروبة في شعر المتنبي عدد ٣ مجلد ٦ ، ١٩٧٧ ص ٨٣ – ٩٦

العرب مطلقاً ، وإنما الصحيح أنه كان لا يريد أن يمدح إلا من كان ذا سلطان يرفع من قدره كشاعر . ولابد أن ندرك أن **المرحلة الأولى من حياة المتنبي** قبل أن يذهب إلى بلاط سيف الدولة ، وهي مرحلة طويلة تبلغ أكثر من خمسة عشرَ عاماً ، وكان قد بلغ منَ العمر أربعة وثلاثين عاماً ، كانت من أقسي فترات الحياة عليه ، فهو شاعر غير معروف ، يمدح من يأنس فيه كرماً ، وتذكر المراجع أنه مدح كثيراً من الناس غير المعروفين ، أو ممن لم يكونوا ذوي مكانة مرموقة ، ولما ظَفِرَ ببعض الممدوحين الذين كانوا يعطونه ما يرضيه مثل بدر بن عمار الأسدي أو التنوخيين ، لمع نجمه ، وبعد صيته ، وتسابق الناس طلباً لمدحه . ولكن طموحه لم يكن محدوداً ، فأخذ يسعي لمدح أمير ذي مكانة ، وهو سيف الدولة الحمداني ، لا لأنه عربي فحسب ، بل لأنه ربما سمع عن كرمه ، وعمن لديه من الشعراء ، ووجد الفرصة مواتية للتألق الحقيقي في عالم الشعر ، ولذلك رفضَ أن يمدح أناساً عاديين . واتخذ وسيلته إلى سيف الدولة ابن عمه أبا العشائر بن حمدان ، وقد مدح أبا العشائر ثم لم يمدَحه بعد ذلك مطلقاً بعد اتصاله بسيف الدولة ، ويرى الدكتور طه حسين أن هذا كان من أسباب غضب أبي العشائر عليه . فيقول : " .. ولم يكن المتنبي حسن الوفاء لأبي العشائر فهو لم يكد يتصل بسيف الدولة حتى أعرض عن غيره من الناس ، ونسي أبا العشائر

نسياناً تاماً ، فلم يذكره ولم يشر إليه ، وكان الرجل خليقاً أن يلقي من صـــنيعته بعض الشكر على ما قدم إليه من إحسان . فكان هذا كله مُيَسِّراً لشيءٍ من الحلف بين أبي العشائر وأبي فراس وأصحابه على قتل المتنبي غيلة . إذ لم يكـــن مـــن اليسير قتله جهرة ، في غير ذنب واضح يبيح دم رجل من المسلمين . "[1]

وهو في رأيي ، لم يمدح سيف الدولة لأنه عربي فحسب ، بـــل أراد أن يجد لديه من الاستقرار والمجد ما لم يجده عند ممدوحيه الســـابقين ، وإن كانـــت عروبة سيف الدولة ترضي شيئاً في نفس المتنبي ، وكأنه إنما يمدح العرب فـــي شخص سيف الدولة . ولكن اميليو غرسيه غومس له رأي أخر ، وهو إنما أجاد في قصائده التى مدح بها سيف الدولة ، لأنه رأى فيه كل ما يتمنى أن يكونه هو نفسه ، وقد قال هذه المدائح صادق الإحساس فيقول : " إنّ قصائده في مدح سيف الدولة وحده ، يمكن أن يقال عنها إنها وليدة مشـــاعر حقـــه ، وقالهـــا صـــادق الأحساس ، لقد رأى دونما شك في أمير حلب الوسيم ، كل ما تمنى هو نفسه أن يكونه ، زعيم عربي يقيم دولة في تخوم الصحراء ، وفي صراع مســـتمر مـــع

---

[1] طه حسين . مع المتنبي . دار المعارف . ط ١١. القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٢٦٤

البيزنطيين .. "[1] وربما يكون ما ذكره " غومس " صحيحاً . ولكن المتنبي مدح مع ذلك من ليس عربياً ، مثل محمد بن مساور الرومي بقصيدة مطلعها :

جَلَلاً كما بي فليـــك التبريـــح — أغذاء ذا الرَّشأ الأغنِ الشيحُ [2]

ويمدحه فيها ويجيد ويبالغ فيقول :

لو فَـرق الكـرم المفرق مـــاله — في النَّاسِ ، لم يك في الزمان شحيحُ

ألــفت مســامعُهُ الملامَ وغادرت — سمـــةً علـــى أنـــف اللـــئام تلوحُ

هذا الذي خلت القـــرون وذكـــره — وحديثُـــهُ في كتبهـــا مـــشـــروحُ [3]

ويمدحُ مساوراً الرُّومي هذا بقصيدة أخري مطلعها :

أمســـاورٌ أم قرن شـــمس هـــذا — أم لـــيث غابٍ يـــقـــدُم الأســـتاذا [4]

حيث يقول فيها :

شِمْ ما انْتَضَيْتَ فقد تركت ذُبَابَـــهُ — قطعاً ، وقد تـــرك العِبَـــاد جُذَاذَا

هبْك ابن يزداذ حطمـــت وصحبـــه — أترى الورى أضحوا بنى يـــزداذَا

غــــادرت أوجههم بحيث لقيتهـــم — أقـــفاءهم وكبودهـــم أفـــــلاذَا

---

[1] اميليو غرسيه غومس . مع شعراء الأندلس والمتنبي . ترجمة دكتور طاهر أحمد مكي . ط . دار المعرف القاهرة ، ١٩٧٨ ص ٣٦ ، ٣٧

[2] ديوان المتنبي . ط . ص ٢٤٣

[3] نفسه جـ ١ ص ٨٢

[4] الديوان جـ ٢ ص ٨٢

في موقف وقف الحِمَامُ عليهم ... في ضنكة واستحوذ استحواذا

لمّا رأوك رأوا أباك محمداً ... في جَوشَنٍ وأخا أبيكَ مُعَاذا

أعجلت ألسنتهم بضرب رقابهم ... عن قولهم لا فارسٌ إلا ذا[1]

وهو مدح لا يعظم فيه الممدوح الأعجمي وحده ، بل ويمدح أباه وعمّه "معاذا" . كما يمدح أبا شجاع فاتكا ، وهو مملوك غير عربي بقصيدة مطلعها :

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النطق إن لم تسعد الحال [2]

وهي قصيدة رائعة ، حيث يقول فيها :

لا يدركُ المجدَ إلا سيدٌ فطن ... لما يَشُقُّ على الساداتِ فَعّالُ

لا وارث جهلت يمناه ما وَهبتْ ... ولا كسوبٌ بغير السيفِ سَآلُ

قال الزمان له قولاً فأفهمه ... إن الزمان على الإمساكِ عَذّال [3]

ويقول في فاتك أيضاً :

وقد أطَالَ ثنائي طول لابسه ... إن الثناء على التنبَال تنبالُ

إن كنت تكبر ان تختال في بشر ... فإن قدرك في الأقدار يختالُ

كأنّ نفسكَ لا ترضاكَ صاحبها ... إلا وأنت على المفضال مفضال

---

(1) نفسه ص ٨٢ ، ٨٣

(2) الديوان . جـ ٣ ص ٢٧٦

(3) نفسه ص ٢٧٩

ولا تعدُكَ صوَّاناً لمهجتها   إلا وأنت لها في الروع بَذّال

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يُفقِرُ والإقدام قتّالُ[1]

فمن يمدح " فاتكا " هذا المدح ، لا يتعصب للعرب وحدهم ، بل إنه حتى لو أضمر هذا التعصب ، فإنه لا يمكن أن يتجاهل وضعه كشاعر لابد ان يجيد فيما يقول سواء أكان يمدح عربيًا أم أعجميًا . فإن عروبته كانت تثور في نفسه ولكنه كان مضطراً لكبت هذه المشاعر محكوماً بالواقع الذي لا يسيطر عليه العرب . والدليل الآخر على ما نقول مدحه لكافور الإخشيدي ، حيث مدحه بقصائد رائعة رغم ما يقال عن المدح الموجّه الذي يحتمل أن يكون هجاء لا مدحاً إذا ما قرئ بشيء من التأمل . فقد ذكر صاحب الصبح المنبي ذلك المدح الموجه : فقال : بعد ان ذكر البيت التالي :

فإن نلْتُ ما أملت منك فربما   شربْتُ بماء يعجز الطيرَ ورده

فإنه إذا أخذ بمفرده من غير نظر إلى ما قبله فإنه بالذم أولى منه بالمدح ، لأنه يتضمّن وصف نواله بالبعد،وصدر البيت مفتتح بالشرطية ،وقد أجيبت بلفظ رُبَّ التى معناها التقليل،أي لست من نوالك على يقين،فإن لمته فقد وصلت إلى

---

[1] نفسه ص ٢٨٦ ، ٢٨٧

مورد لا يصل إليه الطير لبعده " [1]

- ويقول أيضاً :" وكثيراً ما يقصد المتنبي هنا القسم في كافورياته كقوله :

عدوك مذموم بكــل لســـان ... وإن كان من أعدائك القمـــران

ولله سرٌ في علاك وإنمـــا ... كلام العدا ضرب من الهذيـــان (٢)

إلى أن قال في أواخرها :

قضى الله ياكافـــور أنـــك أوّلٌ ... وليس بقاضٍ أن يُرىَ لك ثـــانِ

فما لـــك تختـــار القسـيَّ وإنما ... عن السّعد يرحى دونَكَ الثقـــلانِ

ومالك تعنـــي بالأسنة والقـــنـا ... وجَـدُّك طعَّانٌ بَغَـيْرِ سِـنَـــانِ

ولم تحمل السيف الطويل نجـــاده ... وأنتَ غنـــى عنـــه بالحـدثـــانِ

وهذا يدل على براعة البليغ وقدرته على المعاني " [3]

وهذه الأبيات وإن كانت تحتمل ضرباً من التأويل يحيل بعضها إلى هجاء كقوله إن علو كافور لم يأت عن جداره ، وإنما هو شيئ او سر عند الله تعالي ، فعلوه إلى مرتبة الحاكم أمر غريب ، وما يقوله الناس عن عدم جدارته بـــالحكم وبالمكانة التى هو فيها هو ضرب من الهذيان . ويرى أن ما وصـــل إليـــه هـــو

---

[1] البديعي . الصبح المنبي ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين . ط ٢ . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٨ ص ١١٨ ، ١١٩

[2]، [3] نفسه ص ١١٩ ، ١٢٠

ضربة حظ ، أو قضاء قضي به الله تعالى ، ولهذا فهو لا ينبغي ان يحمل أسلحة الطعان والقتال ، فالثقلان يدافعان عنه ، وحظه يرمي أعداءه بغير سنان ، ثم إن قوله : إنَّك لم تحمل السيف دفاعاً عن الملك الذي تمتلكه وإنما يدافع عنك الثقلان أو الحدثان تجريد لكافور من الشجاعة .

ولكن هل قصد المتنبي إلي هذا حقاً ؟ أمر لا يمكن القطع به ، ولعل هذا لم يخطر للمتنبي ببال ، ويرفض طه حسين هذا الكلام جملة وتفصيلاً ويراه تكلفاً من جانب المتنبي لاغير : " ومن الناس من يظن أن المتنبي قصد بهذا الشعر وأشباهه إلى كلام ظاهره المدح ، ويمكن ان يلتوي به السامع أو القارئ لأن الشاعر قد التوى به على الذم ، وما أظن إلاّ ان في هذا النحو في فهم شعر المتنبي في كافور . تكلف في كثير من الأحيان . "[1]

وعلى أية حال فطه حسين يرى أن هذا الكلام غير صحيح ، ويرى أن من يتصور ان المتنبي مدح كافوراً بشعر يمكن أن يتحول إلى ذم إذا تَعَمَّقَهُ القارئ وتأوّله ، ويرى أن ذلك راجع إلى أننا نقرأ هذا الشعر وفي ذهننا ما قال الشاعر في ممدوحه ، أو لأننا قرأنا رأي شراح المتنبي المتأثرين برأيه في كافور ، ولو أننا قرأنا هذا الشعر بعيداً عن هذا لكان لنا رأي أخر.[2]

---

[1] طه حسين . مع المتنبي ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣

[2] نفسه ص ٢٨٩

ويمدح المتنبي كذلك دلير بن لشكروز لأنه هـزم القرامطـة ، ويقـول الديوان إنه قالها لقتال الخارجي الذي نجم بالكوفة من بني كـلاب ، وانصـرف الخارجي قبل وصول " دلير " إليها . ومطلع القصيدة :

كدعواك كُلٌّ يَدَّعي صحة العقل ... ومن ذا الذي يدري بما فيه من جَهْلِ[1]

وفيها يقول :

عَفِيفٌ تروقُ الشمْسَ صورةُ وجهِهِ ... ولو نزلَتْ شوقاً لحاد إلى الظِّلِّ

شجـاعٌ كـأنَّ الْحَرْبَ عاشقةٌ له ... إذا زارها فَدَّتْهُ بالخيلِ والرَّجْـلِ

وَرَيَّانُ لا تصدي إلى الخمـرِ نَفْسُهُ ... وعطشانُ لا تروي يداه من البَذْلِ

فتمليك دِلِّيـرٍ وتعـظيـم قـدره ... شهيد بوحدانيـة اللهِ والعَـدْلِ[2]

وهي قصيدة طويلة تبلغ الأربعين بيتاً ، ويبالغ مبالغة ممقوتة في البيت الرّابع من الأبيات السابقة عندما يجعل تمليك " دلير" وتعظيم شأنه وقدره ، دلالة على الإقرار بوحدانية الله وعدله ، وكأنه لا يشهد بـذلك إلا إذا اعتـرف لـدلير بالملك وعظم أمره .

وعلى أيّة حال ، فإن المتنبي كان عربياً يريد أن يكون السلطان للعرب لا لغيرهم ، ولكن الواقع كان أقوى من إرادته ، فأجبره على أن يمدح غير العرب ،

---

[1] الديوان . جـ ٢ ص ٢٨٩

[2] نفسه ص ٢٩٨

وألا يجاهر بعداء الأعاجم ، لأن ذلك قد يؤدي إلى هلاكه ، وهناك من الأشعار ما يدل على حبّه للعرب وميله إليهم .

ويرفض الدكتور عبد الوهاب عزام ذلك ، على أساس أن العالم الإسلامي كان وحدة واحدة لا فواصل بينها ، وأن مدحه لغير العرب لا يقدح في إعتزازه بعربيته ، ويرى أن بعض الباحثين يسقط ثقافته ومفاهيمه العصريّة على حياة المتنبي وعصره . [1] ولا ينكر مع ذلك أن المتنبي شاعر عربي نسباً ونشأة وطباعاً ، ويمثل العربي تمثيلاً صادقاً في خشونته وشجاعته وطموحه وصبره ، ودربته على السفر ، وبصره بمسالك الصحراء ، ولكن هذا لا يعني تعصبه للعرب [2].

ومع تقديرنا لآراء الدكتور عبد الوهاب عزام فإننا لا يمكن أن نجرد المتنبي من مشاعره تجاه العرب ورغبته في أن يكونوا حكام العالم العربي ، ويذهب الدكتور شوقي ضيف ومحمود شاكر كلاهما إلى أن المتنبي كان متألماً لزوال سلطان العرب ، وسيادته الأعاجم للدولة الإسلاميّة ، وأن ثورته كانت بسبب ذلك .[3]

---

[1] ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام . جـ ٣. دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٨ص ٢٤٥، ٢٤٦

[2] نفسه ص ٢٤٥

[3] شوقي ضيف .فصول في الشعر ونقده .ط ٢.دار المعارف. القاهرة ،١٩٧٧، ص٨١ ، ٨٢

وهي أفكار سياسيَّة حقيقيّة ، ولعل ثورته بالشام كانت ثورة سياسية ، بل هذا – فى رأينا – هو الرأي الصحيح ولم تكن ادعاء للنبوة كما زعم بعض الباحثين .

ولا ينكر أحد عاطفة المتنبي تجاه العرب ، ولا رغبته في أن تكون السيادة والملك لهم في العالم الإسلامي ، ولعلها رغبة كان يشاركه فيها كثيرون ، ولكنهم غلبوا على أمرهم منذ زمن بعيد . وبالتحديد منذ سقطت الخلافة الأموية ١٣٢هـ ، لكن الأحوال السياسية كانت قد بلغت منتهي السوء في زمن المتنبي إذا أصبح الخلفاء لا سلطان لهم ، وتغلب الأعاجم على مقدرات الدولة الإسلامية تغلباً واضحاً ، ولكني لا أعتقد ان المتنبي كان يستطيع أن يفعل شيئاً حقاً في هذا المجال ، وهو فرد لا سند له . قد خسر أول جولة قام بها للوصول إلى السلطان ، وزج به في السجن ، ولكن مشاعره العربيّة هي الحقيقة التى لا شك فيها فهو شاعر عربي ومشاعره مع العرب ولاشك وقصيدته البائية التى يمدح بها سيف الدولة عندما ظفر ببني كلاب سنة ٣٤٣هـ ، تكشف عن روح التعاطف مع تلك القبائل فهو يستطعف سيف الدولة ليعفو عنهم . والقصيدة مطلعها :

بغيركَ راعيا عبثَ الذئابُ وغيرك صارماً ثلم الضراب[1]

---

[1] ديوان المتنبي . جـ ١ ص ٧٥

والقصيدة تفيض بروح التعاطف مع العرب الذين خرجوا على أميرهم وفيها صور رائعة لطبيعة العرب ، واعتذار عن عدم طاعتهم التى لم يتعودوها :

يقول :

وكيف يتم بأسك في أنـــاس تصيبهـم فيؤلمك المصــابُ

ترفّقْ أيها المـولى عليهـم فإن الرفق بالجـاني عتــابُ

وأنهـــم عبيـدك حيث كانوا إذا تدعو لحادثة أجَابُــــوا[1]

فهو يشير إلى ما يربطه بهم من رابطة النسب ، وإلى أنهـم يمكـن أن يكونوا عدة له في المستقبل ، ولذا يدعوه إلى الصفح عنهم والترفق بهم : فيقول :

وعينُ المخطئين هُمُ وليســوا بأوّلِ مَعْشَرٍ خطئوا فتابُــوا

وأنت حياتهم غضـبتْ عليهـم وهجر حياتهم لهـــمُ عقــابُ

وكـم ذنـب مولّــده دلال وكم بعد مولّـده اقتــرابُ

وَجــرم جَرَّهُ سفهــاءُ قـومٍ وحَلّ بغير جارمه العقـــابُ[2]

وهو في هذه الأبيات يستعطف سيف الدولة ،محاولا أن يخفف من غلوائه في عقابهم . مما يجعل قارئ القصيدة يحس بتعاطف الشاعر مع تلـك القبائـل

---

[1] ديوان المتنبي . جـ ١ ص ٧٥

[2] نفسه ص ٨٠ ، ٨١

الثائرة ، ويدرك حزنه لما حل بهم . وكان الدكتور عبد الوهاب عزام أول من التفت إلى تعاطف المتنبي مع القبائل الثائرة على سيف الدولة . حيث رأى أن مسلكه في تلك القصائد يخالف مسلكه في القصائد التى يمدح بها سيف الدولة لانتصاره على الروم ، وفرحة بانتصار المسلمين عليهم ويبين في القصائد التي مدح فيها المتنبي لانتصاره على قبائل العرب مثل : بني كلاب ، وبني قشير ، وبني العجلان ، وكعب ، عطف الشاعر عليهم ، والاعتذار عنهم ، واضطراب نفسه بين الاشادة بانتصار الأمّة ، وحزنه على ما أصاب هذه القبائل. [1]

ويذهب المذهب نفسه الدكتور شوقي ضيف وهو يعلق على هذه القصيدة نفسها فيقول : " .. والمتنبي في مدائحه لسيف الدولة لا ينسى عروبته ، كأن العرب رُدَّ إليهم فخرهم وشرفهم وقواهم على يديه ، ولعل هذا هو الذي كان يؤلمه حين رأى بعض القبائل القيسيّة تتمرّد على سيف الدولة وتشهر السيف في وجهه . على أنه لم يلبث حين رآه ينكل بها تنكيلاً عنيفاً أن رفع أمامه شعار العروبة عالياً مستعطفاً إياه ،وملتمساً منه الصّفح عنهم لموضعهم منه في نسب العروبة وأواصرها الوثقى . " [2]

---

[1] ذكرى أبي الطيب ص ٨٦

[2]

وتظهر عاطفته تجاه العرب في قصيدته الرائية واضحة تماماً وكان يمدح بها سيف الدولة لإيقاعه ببني عقيل ، وقشير ، وبني العجلان وبني كلاب حين خرجوا عليه ، ومطلعها :

طوال قنا تطا عنها قصار ... وقطرك في ندي ووغى بحار [1]

ويبدو وكأنه يعتذر لتلك القبائل ، عن نفورها من الخضوع للسلطان ، لأنها لم تتعود ذلك فيقول في شعر جميل :

وأخذك للحواضر والبوادي ... بضبط لم تعوده نزار

تشممه شميم الوحش إنساً ... وتنكره فيعروها نفار

وما انقادت لغيرك في زمان ... فتدري ما المقادة والصغار [2]

ثم يمدح هذه القبائل متعاطفاً معها : فيقول :

فكانوا الأسدَ ليس لها مَصَالٌ ... على طيرٍ وليس لها مطار [3]

ويستعطفه ليكف عنهم ، ويُبقي عليهم مذكِّراً إياه أنهم عرب مثله ، وأنه مسئول عن رعايتهم فيقول :

ولو لم تبق لم تعش البقايا ... وفي الماضي لمن بقى أعتبار

---

[1] ديوان المتنبي . ج ٢ ص ١٠٠

[2] نفسه ص ٢٠٣

[3] نفسه ص ٢١٠

إذا لـم يُـزْع سيدهم عليهـم	فمـن يُزْعـى عليهـم أو يغـار
تفــرقــهـم وإياه السَّجَايَـا	ويجمعهـم وإيـاه الـنِّجـــارُ[1]

ويمضي في استعطافه قائلاً :

بنو كعـب وما أثـرت فيهـم	يَـدٌ لم يدمهـا إلا السِّـوارُ
بها مـن قطعـة ألـمٌ ونَقْـصٌ	وفيهـا مـن جلالتـه افتخـارُ
لهـم حـق بشـركك فـي نزار	وأدنـى الشرك في أَصْلٍ جِـوَارُ
لعـل بنيـهـمُ لبنيـك جُنْـدُ	فـأولُ قـرَّح الخـيل المـهارُ
وأنت أبَـرُّ مـن لوعَـقٌ أفـنـى	وأعفـى مـن عقوبتـه البَـوَارُ
وأقـدر مـن يهيجـه انـتـصارٌ	وأحلـمُ مـن يحلمه اقـتـدارُ
ومـا في سطوة الأربـاب عَيْـبٌ	ولا فـي ذلـة العُبْدَانِ عَـارُ[2]

وهو يسلك في هذه القصيدة مسلكه في القصيدة السابقة وينهج النهج نفسه ، ويحقق المقدرة الفذة على المواءمة بين مديح سيف الدولـة والاعتـذار للقبائـل العربيّة الثائرة ، وإثارة مشاعر العطف لدى سيف الدولة على هذه القبائل .

وهنا يثور سؤال مهم ، وهو ما أهميّة شعر المتنبي لدى الساسـة والحكـام العرب ؟ وهو سؤال قد يبدو ساذجاً ، ولكنه في الواقع تحدد إجابته الدور الـذي

---

[1] نفسه ص ٢١١

[2] نفسه ص ٢١٥ ، ٢١٦

كان يلعبه الشاعر المادح في تعظيم الممدوح والتمكين لحكمه ، وبيـــان عظمتــه وشجاعته ، للقاصي والداني . فعظمة الممدوح يؤكدها شعر الشاعر ، حيث ينتقل شعره من مكان إلى مكان ، فيتناقله الركبان ويصبح الحاكم علماً بين الحكـــام . ومن أجل هذا فمدح المتنبي كان مطلوباً من كبار الحكام والوزراء ، والـــولاة ، وقد يرى الممدوح في شعر الشاعر تخليداً له ، وهذا شيء محتمل ومعقول . لكننا نعتقد أن وظيفة الشاعر في عصره كانت أخطر الوظائف ، ولذا كان المتنبي في عصره وسيلة إعلامية في غاية الخطورة فسيف الدولة يعطيه ويجزل له العطـــاء ويمنحه إقطاعاً ليمدحه ، وعندما يحارب الممدوح القبائل الثائرة يمدحـــه مؤكـــداً على حقه في تأديبها فهو سيدها وله عليها الطاعة والولاء ، ويصور ما فعله بها عندما ثارت عليه حتى يخيف غيرها من القبائل ، إن هي فكرت فـــي الثـــورة .

فيقول :

وَظَلَّ الطعنُ في الخيلين خَلْســـاً ... كأن الموت بينهمـــا اختصارُ

فَلَـــزَّهم الطـــراد إلـــى قـــتـــالٍ ... أحد سلاحـــهم فيـــه الفِـــرارُ

مضـــوا متسابقِي الأعضاء فيـــه ... لأرؤســـهـــم بأرجلـــهم عِثَـــارُ

يَـــشُـــلُّهُـــمُ بـــكل أَقَـــبَّ نَـــهْـــدٍ ... لفـــارســـه على الخيل الخِيَـــارُ

وكُـــلُّ أصَـــمَّ يَعْـــسِـــلُ جانبـــاه ... على الكعبـــيـــنِ مِنْهُ دَمٌ مُـــمَارُ

يغادرُ كُلَّ مُلْتفِتٍ إليهِ | ولَبَّتَهُ لثعلبِهِ وجَارُ
إذا صَرَفَ النَّهارُ الضوءَ عنهم | دَجَا لَيْلانِ لَيْلٌ والغُبَارُ
وإن جُنْحُ الظلامِ انجابَ عنهم | أضاءَ المشرفيّةُ والنهارُ
يُبَكّى خلفهم دَثْرٌ بُكَاهُ | رُغَاءٌ ، أو ثُؤَاجٌ أو يُعَارُ
غَطَا بالعِثْيَرِ البيداءَ حتّى | تَحَيَّرَتِ المتالي والعِشَارُ[1]

ويطيل في وصف المعركة وما لقى العصاة فيها من الأذى ، وما ذاقوا من الهزيمة ، وما خسروا من الأنفس والأموال ، وكأنه يخيف من تسول له نفسه الثورة على سيف الدولة . وهذا هو الجانب السياسي الذي تمثله مثل هذه القصائد المدحية .

ونجد كافوراً الإخشيدي يغري المتنبي بالفرار من حَلَبَ ، لأنه يريد أن يمدحه هذا الشاعر الذي لا نظير له في العالم العربي والإسلامي . لأنه يريده ان يلعب الدور الذي لعبه في حلب لصالحه في مصر . وقد مدحه المتنبي مدائح خالدة ، ونوّه به ، ورفع من قدره ، وفضله على سيف الدولة : يقول :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً | وحسبُ المنايا أن يكن أمانيا
تمنيتَها لمّا تمنيت أن ترى | صديقاً فأعيا أو عدواً مُدَاجِيَا

[1] نفسه ص ٢٠٧ ، ٢٠٨

إذا كـنت ترضي أن تعيش بـذلة ... فلا تستعدّنّ الحسـام اليمـانيـا

ولا تـستـطـيلـن الرماح لغارة ... ولا تستجيـدَنَّ العتاق المذاكيـا

فمـا ينفعُ الأسدَ الحياءُ من الطوى ... ولا تتقي حتى تكـون ضواريـا

حببتُـكَ قلبي قبـل حبك من نأي ... وقد كان غدّاراً فكن أنتَ وَافيَـا

وأعـلم أن البيـن يشكيـك بعـده ... فلست فؤادي إن رأيتك شاكيـا[1]

ثم يقول معرضاً بسيف الدولة : وهو يصف الخيل :

قواصـد كافـورٍ تـوارك غيـره ... ومن قصدَ البحر استقلَّ السواقيا

فجاءت بنا إنسان عَـيْنِ زمانـه ... وخلـت بياضـاً خلـفها ومآقيا[2]

وهو في قوله حبتك قلبي والبيت الذي يليه يشير إلى سيف الدولة وأنـه غدر به بينما المتنبي رجل ألوف حتى إنه يصف نفسه بقوله :

خلقت ألوفاً لو رحلت إلى الصبـا ... لفارقت شيبيَ موجع القلب باكيا[3]

ولم يحقق له كافور ما كان يرجوه من الولاية خوفاً من طموحه فأكرمـه بالعطاء ولم يزد على ذلك ففر المتنبي من مصر في ليلة العيد في سنة ٣٥٠هـ . وهجاه بقصيدة دالية مشهورة يقول فيها :

---

(1) ديوان المتنبي جـ ٤ ص ٤١٧ – ٤١٩

(2) نفسه ص ٤٢٣ ، ٤٢٤

(3) نفسه ص ٤٢١

عيدٌ بأيةِ حالٍ عُدتَ ياعيدُ | بما مضى أم بأمر فيك تَجديدُ
أما الأحبّة فالبيداء دونهمُ | فليتَ دونَكَ بيداً دونَها بِيدُ
لولا العلا لم تجب بي ما أجوبُ بها | وجناء حرف ولا جرداء قَيْدُودُ
وكان أطيب من سيفي مضاجعة | أشباه رونقه الغيد الأماليد
لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي | شيئاً تتيمُهُ عين ولا جِيدُ
ياساقِيَّ أخمر في كئوسكما | أم في كئوسكما هم وتسهيد
أصخرة أنا مالي لا تحركني | هذي المُدَامُ ولا هذى الأغاريدُ
إذا أردت كميت اللون صافية | وجدتُها وحبيب النفس مفقود
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه | أنى بما أنا باكٍ منه مَحْسُودُ[1]

ثم يهجو كافوراً هجا مرًّا كى يحرض الشعب المصرى على الثورة عليه : بقوله :

إن أمرأ أمة حبلى تدبره | لمستضام سخين العين مفئود
ويلمها خطة ويلم قابلها | لا يرتضيها سوى المهريَّة القود
نامت نواطير مصر عن ثعالبها | وقد بشمن وما تفنى العناقيد [2]

---
[1] ديوان المتنبى . جـ٤ . ص ١٣٩ ، ١٤٢ .
[2] ديوان المتنبى

وهذا شعر سياسيّ في المقام الأول ، لأنه يهاجم حاكماً ويراه غير أهـل للحكم ويعيره بأنه كان عبداً جاء به النخاس وأنه لا تليق به المعاملة الكريمـة : فيقول :

من علـم الأسـود ... مكرمـة　　آباء السـود أم أجـداده الصيـد

أم أذْنُهُ في يد النخـاس داميـة　　أم قـدره وهو بالفلسـين مردود

وهذا هجاء سياسي وشخصي لأنه يحط من قدره الحـاكم وهـو كـافور الإخشيدي .

ونتساءل لماذا استدعى المتنبي إلى بلاد فـارس لمـدح عضـد الدولـة البويهي؟ السبب ولا شك سياسي ، فعضد الدولة يريده أن ينوه به ويرفع من قدره ، فالشاعر يؤدي وظيفة سياسية فهو يقول مادحاً ابن العميد :

يامَـن إذا وَرَدَ الـبـلادَ كـتابُـهُ　　قبلَ الجيوشِ ثنـي الجيوشَ تحيُّرَا

أنت الوحيدُ إذا ركبتَ طريـقـة　　ومَنِ الرديـفُ وقد ركبت غضَنفراً

قطف الرجال القول قبل نبـاتـه　　وقطفـت أنت القـول لَمّـا نـورا

فهو المُشَيَّـع بالمسامع إنْ مضى　　وهو المضاعـفُ حسنُهُ إنْ كرِّرا

وإذا سَـكَتَّ فـإنّ أبـلـغ خاطب　　قـلم لـك اتـخـذ الأنامل منبرا

فدعاك حسّدك الرئيس وأمسكــوا ودعاك خالقــك الرئيس الأكــبرا[1]

وهو يصفه بالأبهة والعظمة والبلاغة وهي صفات الملك الذي تجعله ملكاً ذا جدارة . بل لا يتردد في تفضيل حياة الفرس على حياة العرب عنــدما يقــول متحدثاً عن ناقته :

تركتْ دخانَ الرِّمْثِ في أوطانها طلبــاً لقوم يوقدون العنبــرا [2]

فالأعراب يوقدون الرمث وهو نبات يستخدمونه وقوداً ، كما يتحدث عن أن نَاقَتَهُ بركت على المسك لا على التراب : فيقول :

وتكرَّمَتْ ركباتُها عن مبرك تقعان فيه وليس مسكاً أذفَرا [3]

ويصفه بالثقافة والحكمة فيقول :

من مبلــغ الأعراب أنى بعــدها شاهدت رسطاليس والإسكنــدرا

وسمعت بطليموس دَارِسَ كتبــه متــملكــاً متبدياً ، مــتحضــرًا

ولقيــت كل الفاضلــين كــأنمــا ردّ الإلــه نفوســهم والأعــصرا[4]

وهنا يعظم الرجل كحاكم ويجعله أعظم من في عصره بل أعظم النـــاس بل أفضل الفضلاء قديماً وحديثاً لأنه يجسدهم جميعاً .

---

[1] ديوان المتنبي . جـ ٢ . ص ٢٧٢ – ٢٧٤

[2] نفسه ص ٢٧٥

[3] نفسه ص ٢٧٦

[4] نفسه ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨

ومن قصائده الرائعة في عضد الدولة قصيدته التى مطلعها :

مغاني الشِّعْبِ طيباً في المغاني   بمنزلة الربيع من الزمان[1]

ثم بعد وصف شعب " بَوّان " يأخذ في المديح فيقول :

فقلت إذا رأيت أبا شجاع   سلوت عن البعاد وذا المكان[2]

فإن الناسَ والدنيا طريقٌ   إلى من ما لَهُ في الناس ثانِ

لقد عَلَّمْتُ نفسي القول فيهم   كتعليم الطِّرَادِ بلا سِنَانِ

بِعَضُدِ الدولة امتنعت وعَزَّتْ   وليس لغير ذي عَضُدٍ يدانِ

ولا قَبْضٌ على البيض المواضي   ولاحظ من السمر اللّدانِ

أرُوُضُ الناسِ من تُربٍ وخوف   وأرضُ أبي شجاع من أمَانِ[3]

إلى أن يقول واصفا شجاعته :

حمى أطراف فارس شَمَّرِيٌّ   يَحُضُّ على التباقي بالتفاني

بضربٍ هاج أطراب المنايا   سوى ضرب المثالث والمثاني[4]

ولم أر قبله شبلى هزير   كشبليه ولا مهرى رِهَانِ

أشد تنازُعاً لكريم أصلٍ   وأشبه منظراً بأبٍ هِجَانِ

---

[1] ديوان المتنبي جـ ٤ ص ٣٨٣

[2] نفسه ص ٣٨٩

[3] نفسه ص ٣٩٠ ، ٣٩١

[4] نفسه ص ٣٩٣

وأكثر في مجالسه استماعاً فلانٌ دَقّ رمحاً في فُلانِ

وأول رأيةٍ رأياً المعالى فقد علقا بها قبل الأوانِ

وأول لفظة فهماً وقالا إغاثة صارخٍ أو فكّ عانِ

وكنتَ الشمس تبهر كل عين فكيف وقد بَدَتْ معها اثنتان؟

فعاشا عيشة القمرين يُحْيَا بضوئهما ولا يتحاسدان

ولا ملكاً سوى ملك الأعادي ولا ورثاً سوى من يقتلان[1]

إلى أن يقول فيه أى عضد الدولة :

ولولا كونكم في الناس كانوا هُرَاءً كالكلام بلا معان [2]

وهذا المديح وإن كان في بدايته موقف خاص بالمتنبي وإعجابه بشعب بوان وما يشعر فيه العربي من الغربة فإنه مديح دعائي سياسيٌ لأن الرجل مسئول سياسيٌ كبير ، والشاعر ينوه به ويرفع من قدره ، ويجعله أعظم الملوك وأعظم الحكام . بل إنه يجعله أهم البشر قاطبة ، ويرفعه حتى على العرب أنفسهم . إن الشاعر هنا شاعر سياسيّ يدرك دوره ووظيفته إدراكاً حقيقياً .

وقد كانت تجربة المتنبي في العراق بعد مغادرته مصر تجربة قاسية ، فقد وصل الكوفة ثم اتّجَهَ إلى بغداد . ولكنه – كما هو معروف – لم يمدح الوزير

---

[1] نفسه ص ٣٩٤ – ٣٩٥

[2] نفسه ص ٣٩٦

المهلبي ، ولا معز الدولة البويهي . وهو أمر يصعب توضيحه على وجه القطع .
ولكن الأستاذ محمود شاكر يجعل المتنبي سياسياً خطيراً ، ذهب إلى بغداد للاطلاع على مجريات الأمور بها ليرى ماذا ينبغي عليه أن يفعل ، ولكنه في الواقع يبالغ لأنه يجعله يقصد بغداد ليكون على مقربة من سياسة الدولة وأنه كان يريد أن يعرف حقيقة الوضع في بغداد إلى غير ذلك .

والواقع أن المتنبي كان شاعراً مداحاً ، ذا مكانة فريدة بين شعراء عصره ومن ثم فهو كان يبحث عن خطة يتبعها بعد ترك مصر ، ومغادرة سيف الدولة، ومن ثم كان يبحث خطة جديدة لحياته،وبالتأكيد فإنه كان يريد أن يمدح ممدوحاً ذا مكانة .

والمتنبي على أية حال قد لعب دوراً سياسياً في زمنه وبخاصّة وقد أصبح شاعراً يسعى للحصول على مديحه الملوك والوزراء ورؤساء الدول .

شوقي والسياسة

أحمد شوقي (١٨٦٩ – ١٩٣٢) شاعر مصري ، احتل مكانة كبيرة بين الشعراء في العصر الحديث حتى سُمِيَّ أو لقب بأمير الشعراء . وكان يحتل مكانة كبرى بين شعراء العالم العربي أيضاً .

وهو من المدرسة الكلاسيكيّة المصرية التى تعني بالصياغة وتهتم بالأغراض التقليدية وخاصّة المديح وشعر المناسبات ولكن شوقي لم يكتف بذلك، بل أضاف إلى ذلك أعماله المسرحيّة التى تتضمن المسرح الشعري والنثري ، وبذلك كان رائد هذا الفن في حياتنا المعاصرة .

ومن هنا كان شوقي هدفاً للنقد العنيف من المدرسة الرومانسية المعاصرة التى كان يمثلها شكري ، والعقاد ، والمازنى وقد هاجم العقاد شعره ووصفه بأنّه يفتقد التعبير عن شخصية الشاعر . والإحالة ، والتفكك ، والتقليد ويقول العقاد في عيوب شعر شوقي المعنوية : " فالعيوب المعنويّة التى يكثر وقوع شوقي وأضرابه فيها عديدة ، مختلفة الشيات والمداخل ، ولكن أشهرها وأقربها إلى الظهور وأجمعها لأغلاطهم عيوب أربعة ، وهي بالإيجاز : التفكك والإحالة ، والتقليد ، والولوع بالأعراض دون الجواهر . وهذه العيوب هي التى صيرتهم

أبعد عن الشعر الحقيقي الرفيع المترجم عن النفس الإنسانية في أصدق علاقاتها بالطبيعة والحياة. " (1)

ولا شك ان من يتهمون قصائد شوقي بالتفكك يريدون أن ترتبط أبيات القصيدة بعضها ببعض برابط لفظي ، مع أن القدماء كانوا يعيبون ذلك ويطلقون على هذا العيب اسم التضمين :(2)

ويوضح العقاد مفهومه للقصيدة الموحدة ليخلص من ذلك إلى ما يضاد التوحد وهو التفكك الذي يصم به شعر شوقي فيقول : " إن القصيدة ينبغي أن تكون عملاً فنياً تاماً يكمل فيه تصوير خاطرأو خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال بأعضائه ، والصورة بأجزائها ، واللحن الموسيقي بأنغامه ، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرّت النسبة ، أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها . فالقصيدة الشعريّة كالجسم الحيّ يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا يغني عنه غيرَه في موضعه ، إلا كما تغني الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة ."(3)

---

(1) عباس محمود العقاد . الديوان . ط ٣ مطبعة الشعب . القاهرة . د ت ، ص ١٢٩

(2) أبو هلال العسكرى .الصناعتن. تحقيق محمد على البجاوى وآخرين.ط٢ .دار الفكر العربى.القاهرة ، ١٩٧١ .

(3) الديوان ، مرجع سابق ص١٣٠

ولا شك أن شعر شوقي وأيضاً الشعر القديم لم يكن مفككاً بالصورة التي يصورها العقاد ، وهو هنا يريد أن يصم كل شعر شوقي بهذه الوصمة .

أما الإحالة وهي السمة الثانية فهي كما يعرفها العقاد : " فهي فساد المعنى ، وهي ضروب فمنها الاعتساف ، والشطط ومنها المبالغة ، ومخالفة الحقـائق ، ومنها الخروج بالفكر عن المعقول ، أو قلة جدواه ، وخلو مغزاة ." [1]

وهو كلام صحيح في ذاته لا يطبقه العقاد تطبيقاً صـحيحاً علـى شـعر شوقي ، وإنما يتعسف ويتصيد في تطبيقه وينزع الأبيات عن سياقها بحيث تصبح لا معنى لها . [2]

وأما السمة الثالثة فهي التقليد ويعرفها العقاد بقوله : " أمّا التقليد فـأظهره تكرار المألوف من القوالب اللفظية والمعاني وأيسره على المقلد الاقتباس المقيـد والسرقة [3]" ، وعلى أيّة حال فإن تطبيق هذا المبدأ يجعل كل معنى يتشابه مـع غيره مسروقاً وهذا التشابه شائع في الشعر العربي القديم كله . وهو يتعسف في تطبيق مبدأ الأخذ على شوقي .

---

(1) انظر نفسه ١٤٢ - ١٦٢

(2) نفسه ص ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧.

(3) نفسه ص ١٤٨

والواقع أن العقاد الشاعر الرومانسي كان يطبق مبدأ الرومانسية وهو أن الشعر الذي لا يعبر عن شخص مبدعه ليس بشعر ، كما أنّه يريد أن يحول شعر شوقي وهو شعر موضوعي لأنه شعر مديح أو مناسبات إلى شعر رومانسيّ ، والواقع أنه اشتط في تطبيق مبدئه على شوقي ترويجاً لمذهبه ومذهب رفيقيه الرومنسيين المازني وشكري .

وإنما أردنا بهذا التقديم أن نبين أن شوقي شاعر كلاسيكيّ يصوغ الشعر على طريقة القدماء ، ويعارضهم ويستفيد منهم ، ويتفوق عليهم أحياناً ، ويعنى بالصياغة عنايتهم بها . وقد كان يعيش دور الشاعر القديم فهو شاعر القصر : شاعر توفيق ، وشاعر اسماعيل وشاعر عباس حلمي الثاني . ولذلك لم تكن له شخصية مستقلة عن أولياء نعمته في هذا القصر الذي رعاه ورعى أسرته . ويصور الدكتور شوقي ضيف أثر ذلك على شوقي ، فيقول :" فلم يكن لشوقي من رغبة إلاّ أن يكون ظلاً للأمير ، وربما كان لفساد الحياة السياسيّة في مصر حينئذ أثر في توجيه شوقي ، فقد نشأ وهو يرى القصر والأمير كلّ شيء في حياة المصريين ، فهما مصدر العز والذل ، والخفض والرفعة ، والجاه والسلطان . فأراد شوقي أن يقتحم هذا الحصن الأشم ، وأن يكون له مجال فيه ، ولو أن الحياة كانت تجري في مصر على شكل آخر ، فيه ديمقراطية ، وفيه إيمان

بالشعب وعمل صادق على إرضائه ، لكانت أحلام شوقي غير هـذه الأحـلام ، ولما رأيناه يجرى منضوياً تحت لواء الأمير يسبح بحمده آناء الليـل وأطـراف النهار .[1]»

فما كان لشوقي شخصية منفصلة عن القصر ، ولا يمكن بـأي حـال أن يسامح شوقي فى هجائه لعرابي حين عاد من منفاه بقصيدة مطلعها :

صَغارٌ في الذهابِ وفي الإيـاب أهـذا كل شأنك ياعـرابـي [2]

ولم يذهب عرابي صغيراً ، ولم يعد صغيراً ، وإنما ذهب كبيراً وعظيماً وعاد زعيماً لمصرٍ تعرف له حقه وتقدره التقدير كله . وإنما كل من يغضب عليه القصر يغضب عليه شوقي .

وهو لا يرثى شهداء دنشواي الذين حاكمهم الأنجليز وشنقوهم إلا بعد عام كامل من وقوع الحادث الذي هزّ مصر كلها فى قصيدة : يقول فيها :

يا دنشوايَ ، علىَ رباك سـلام ذهبت بأنـس ربوعـك الأيـامُ

شهداءُ حكمك في البلاد تفرقـوا هيهات للشمـل الشتيـت نـظَـامُ

مرّت عليهـم في اللحود أهلّـةٌ ومضى عليهم في القيود العَـامُ

---

[1] شوقى ضيف . شوقي شاعر العصر الحديث . ط ١١ . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٨٦ ص ٢٥

[2] انظر نفسه ص ١٩

كيف الأرامل فيك بعد رجالــها؟ وبــأيّ حالٍ أصبــح الأيــتــامُ ؟

عشرون بيتاً أقفرَتْ ، وانتابهـــا بعد البشـــاشـــة وحشة وظــلامُ

ياليت شعري في البروج حمائم أم فـــي البروج منـــيّـــةٌ وَحِـمَـــامُ

"نيرون " لو أدركت عهد كرومرٍ لعرفتَ كـــيفَ تنـــفـــذ الأحــكـــامُ

نوحي حمائمَ دنشواىَ ، وروّعى شَعْباً بـــوادى النيل ليـــس يَنَـــامُ

إن نامَتْ الأحياء حالت بـــيـــنه سحــــراً وبيـــن فِرَاشِــهِ الأحـــلامُ

السوط يعـــمل ، والمشانق أربع متـــوحـــداتٌ والجـــنـــود قِــيـــامُ

والمستشـــار إلى الفظائعِ ناظرٌ تـــدمـــى جلود حـــولَـــهُ وعـــظامُ

فـــي كـــل ناحية وكـــل محـــلةٍ جزعـــاً من المَلأ الأسِـــيـــفِ زحامُ

وعلى وجوه الثاكلين كـــآبَـــــةٌ وعلى وجـــوه الثـــاكلات رغـــامُ [1]

وهي قصيدة لا نشعر أن الشاعر فيها حزين حقاً ، ولا أنَهُ نـــاقم علـــى الإنجليز ، وإنما هي من قبيل الإشعار بأنه حزين ، ربما لأنه يرى أن القصر كان راضياً عما حدث ، وربما لأن القصر والإنجليز كانا على وئام .

---

[1] الشوقيات . جـــ ١ ، ص ١٨٦

ولابُدّ من مقارنة قصيدة حافظ إبراهيم " حادثة دنشواى " بقصيدة شــوقي السابقة ، وقد نظمها بعد الحادثة بأقل من شهر في ٢ يوليه ١٩٠٦ بينما حادثــة دنشواي وقعت في ١٣ يونيه ١٩٠٦ م يقول حافظ :

أيها القائمــون بالأمــر فيــنـا ... هــل نسيتــم ولاءنــا والــودادَا

خفضوا جيشكم وناموا هنيـئـاً ... وابتغوا صيدكم وجوبوا البــلادَا

وإذا أعــوزتــم ذاتَ طــوقٍ ... بين تلك الربا فصيدوا العبـــادَا

إنمــا نحــن والحــمام ســواءٌ ... لــم تغــادر أطواقنــا الأجْيَـــادَا

لا تظنــوا بــنــا العــقوق ولكنْ ... أرشدونا إذا ضللــنــا الرَّشَـــاداَ

لا تقيـــدوا مـــن أمة بقــتــيل ... صادت الشمس نفسه حين صَــادَا

جاء جــهــالُنَــا بــأمرٍ وجــئتم ... ضِعْفَ ضِعْفَيْــهِ قسوة واشتــدادَا

أحسنوا القتل إن ضَنَنْتُــمْ بعفــو ... أقصاصــاً أردتــمُ أم كــيــادَا ؟

أحسنوا القتل إن ضَنَنْتُمْ بعفـــو ... أنفــوســـاً أصبــتُمُ أم جَمَادَا ؟

ليت شعري أتلك محكمة التفــ ... تيشِ عَادَتْ أم عهدُ " نيرون"عَادَا ؟

كيف يحلو مـــن القــوىّ التَّشفّــىّ ... من ضعيــف ألقى إليه القــيــادا ؟

إنـــهــا مُثْلــةٌ تَشفُّ عــن الغــيــ ... ـظِ ، ولسنا لغــيظكــــم أندادَا

اكــرمونا بــأرضــنـــا حيث كنتــم ... إنمــا يكـــرم الجَــوَادُ الجــوادَا

إن عشرين حجة بعد خمس علمتنا السكون مهما تمادى

أمةُ النيل أكبرت أن تعادي من رماها وأشفقت أن تعادي

ليس فيها إلا كلامٌ وإلاّ حَسْرَةٌ بعدَ حَسْرَةٍ تتهادى

أيها المدعى العمومي مهلا بعض هذا قد بلغت المرادَا

قد ضمنا لك القضاء بمصرٍ وضمنا لنجلك الإسعادَا

فإذا ما جلست للحكم فاذكر عهد مصرٍ فقد شفيت الفُؤادَا

لا جرى النيل في نواحيك يامصرُ ، ولا جادك الحيا حيث جادَا

أنت أنبت ذلك النبتَ يا مصرُ ، فأضحى عليك شوكاً قتادَا

أنتِ أنبت ناعقاً قام بالأمسِ فَأَدْمَى القلوب والأكبادَا

إيه يَامِدْرَةَ القضاء ويامن ساد في غفلة الزمان وَشَادَا

أنت جلادنا فلا تنس أنّا قد لبسنا على يديك الحِدَادَا[1]

وقصيدة حافظ إبراهيم لاشك أجود من قصيدة شوقي وفيها شيء من الحرارة والصدق ، لأنه مصري من الشعب ، يحس به ، ويحسن التعبير عنه . ويسخر من إبراهيم الهلباوى المدعى العام في القضيّة ويراه فعل ذلك لكي يتولى

---

[1] ديوان حافظ إبراهيم . جـ ٢ . الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

القضاء بمصر أو يظفر بمكافأة على خيانته لبلده ثم يعلن غضبه على مصر لأنها انجبت مثل ذلك الرجل الغادر الخائن لوطنه ، ويعتب على مصر أنها أنبتت مثل هذا الرجل ، ويعتبره جلاد اهل دنشواى فيقول مخاطباً إياه بقوله :

أنتَ جلادنـــا فلا تنس أنــــا	قد لبسنا على يديك الحِـدَادا

ثم يتحدث عن الحادث مرّة أخرى فى قصيدة أخرى مستقبلاً بها اللـــورد كرومر المعتمد البريطانى بمصر ، عاتبه فيها على ما تم في دنشواى علـــى يَـدِ إبراهيم الهلباوى المدعى العام ، والمستشار الانجليزى مستر "بوند : يصور مـــا حدث لأهل دنشواى فيقول :

حَسِبُوا النفوسَ من الحَمَامِ بديلـــةً	فتسابقوا في صيدهن وصوبـــوا
نُكِبُوا وأقفـــرت المنـــازلُ بعدهـــم	لو كنت حاضر أمرهم لم ينكبوا
خليتهـــم والقاســطـــون بمرصد	وسياطهـــم وحبالهـــم تتأهبوا
جلـــدوا ولـــو منيتـــهم لتعـــلقوا	بحبال من شنقـــوا ولم يتهيبـــوا
شنقـــوا ولو منحوا الخيـــار لأهَلُّوا	بلظى سياطِ الجالـــدين ورحبـــوا
يتحاســدون على الممـــات وكأسُه	بين الشفاه وطعمه لا يعـــــذُبُ
موتـــان : هـــذا عـــاجل متنمـــر	يـــرنـــو ، وهذا آجِـــلٌ يترقـــبُ[1]

---

[1] نفسه ص ٢٤

ومع جودة هذا الوصف ، فإن القصيدة تغلب عليها نغمة المهادنــة مــع المحتل ، واللين معهم حتى لو كان حافظ يريد السخرية وتحريض الشعب . فقــد كان الحادث يحتاج إلى شعر أكثر حدة وعنفاً ووطنية من هذا الشعر ، ومع ذلك فقد كان حافظ أكثر عناية بالحادث من شوقي . وشعره أكثر جودة من شعره .

وعندما نقرأ قصيدة صلاح عبد الصــبور " شــنق زهــران " لا نجــد تصويراً حقيقياً للمأساة وإنما القصيدة كأنها ترجمة حياة لزهران ، ثــم يختمهــا صلاح عبد الصبور بقوله :

وضع النِّطْعُ على السكةِ والغيلانُ جَــاءُوا

واتى السيــاف (مَسْرُورٌ) وأعداءُ الحَيَــاه

صنعــوا المــوت لأحــبــاب الحـيــاه

وتـــدلـــى رأس زهـــران الـوديــع

قــريتى من يومها لم تأتدم إلا الدمــــوع

قريتــى من يومها تأوى إلى الركن الصديــع

قــريــتــى من يومهــا تخشــى الحـــيــاه

كــــان زهــــران صديقا للحـيـــاه

وهذا الجزء الأخير يمثل قفزة على الأجزاء الأولى من القصيدة التي تستمد شهرتها من حديثها عن زهران ، ولكن مستوى الشاعرية فيها أقل من قصيدة حافظ إبراهيم .

وإن كان قد قدم للقصيدة بمقدمة غامضة ، وإن كان القارئ يعرف من زهران : يقول فيها :

وثوى في جبهة الأرض الضياء

ومشى الحزن إلى الأكواخ ... تنين له ألف ذِراع

كل دهليز ذراع

من أذان الظهر حتى الليل .... يالله

في نصف نَهَار

كل هذى المحن الصَّماء في نصف

مذ تدلى رأس زهران الوديع [2]

وهذا الوصف ينتقل منه إلى وصف زهران وأحلامه في الحب ثم اشتعال النار في حقل القمح أو "جرن" القمح ، لينتقل من ذلك إلى حادث

---

[1] صلاح عبد الصبور . الأعمال الكاملة .ط ٦ .دار الشروق. بيروت ،١٩٨٦، ص ١٧ ، ١٨
[2] نفسه ص ١٥

شنقه . وهي قصيدة خالية من الانفعال ومن العاطفة رغم شكلها الجديد ، ولغتها ليست لغة شعريّة جيدة .

ونعود إلى شوقي الشاعر السياسي ، لأنه كما قلنا يتبع القصر ويدافع عن ساكنه أيًّا كان . فهو شاعر القصر ، وليس شاعر الشعب . ويقول العقاد عنه :" وقد كان شوقي بلاطياً في شعره كله ، ما كان منه مدحاً أو تاريخاً أو حكمه ، أو حثاً على التقوي ، ومحاسن الشيم ، ومكارم الأخلاق . والبلاطيُ معروف أبداً برعاية السّمْتِ والعرف ،وإخفاء ما وراء الظواهر من حقائق نفسه وخوالج ضميره . وعلى هذا المعنى لم يخلع شوقي كسوة التشريفة قط في قصيدة من قصائده ولا بيت من أبياته .[1]"

وإذا كان العقاد يقصد أن شوقي شاعر البلاط المصرى في زمنه وأنه يدافع عنه ، ويعمل لصالحه ، فإن قوله يكون مقبولاً . لأن شوقي كان يعيش زمانه وعصره فيمدح ويرثي ويتحدث عن أمور ثقافية أو اجتماعية أو سياسيّة أو غيرها كما فعل ذلك غير واحد من معاصريه فنجد مثلاً في ديوان شوقي رثاء لسليمان باشا أباظه وكان وزيراً للمعارف العمومية ١٨٨٢ ، كما يرثي مصطفى باشا فهمي ، وهو عم الزعيم سعد زغلول باشا ، كما يرثي رياض باشا ، ومحمد

---

[1] عباس محمود العقاد . شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي . نهضة مصر . الفجالة . القاهرة .د.ت ص ١٨٣

فريد ، كما يرثي غير السياسيين من الأدباء والشعراء والمصلحين مثل قاسم أمين مثلاً والصحفيين أيضاً والعلماء وغيرهم ، وهذا ما يجعل بعض الدارسين يقولون إن شعره شعر مناسبات .

والغريب أن له في مصطفى كامل قصيدة طويلة رائعة مطلعها :

المشرقـــان عليــك ينتحبـــان ⁂ قاصيهما في مأتـــم والدانـــي

ياخادم الإسلام أجرُ مجـــاهـــد ⁂ في الله من خلد ومن رضوان [1]

وهي قصيدة طويلة جيدة وفيها يقول :

كأنه نعش الحُسَيْنِ "بكربـــلاء" ⁂ يختال بين بُكاً ، وبيـــن حَنَـــانَ

في ذمـــة اللــــه الكريـــم وبـــره ⁂ ما ضـــمَّ من عُرْفٍ ومن إحْسَـــانِ

شقـــت لمنظرك الجيوب عقـــائل ⁂ وبكتك بالدمع الهتـــونِ غـــوانى [2]

إلى أن يقول :

يَاصَبَّ مصـــرَ وياشهيـــد غرامِهَا ⁂ هـــذا ثـــرى مـــصرٍ، فنم بأمـــان [3]

والقصيدة كما قلنا قصيدة طيبة ، وإن كانت تغلب عليها نغمة خطابية أما ما كتبه في رثاء محمد فريد الزعيم الوطنى المعروف فيأتى مُوجَزاً لا

---

[1] الشوقيات جـ ٣ ص ١٢٢
[2] نفسه ص ١٢٣
[3] نفسه ص ١٢٥

يدل على عاطفة حقيقيّة أو رثاء صادق . ومطلع تلك المقطوعة قوله :

نجدد ذكرى عهدكم ونُعيـــــدُ ونذنى خيال الأمس وهو بعيد [1]

وتتكون المقطوعة من ثلاثة عشر بيتاً ، ولكن المقطوعة لا تخلــو مــن إشاده بالرجل .

ومن الغريب حقاً أن نجد في ديوانه قصيدة بمناسبة تتويج الملــك ادوراد السابع ، وتأجيل إقامة الحفل لإصابة جلالته بــدمل وذلــك فــي ســنة ١٩٠٢. ومطلعها :

لمن ذلك الملك الذي عزّ جانبه ؟ لقد وعَظ الأملاكَ والناس صَاحِبُه [2]

وفيها مدح وإشادة بالملك الانجليزي الذي تحتل جيوشه مصر ، وكان لا ينبغي أن يفعل ذلك ، ولو كان هذا بإيعاز من خديوى مصر .

ومن شعره السياسي ما نظمه بعد عودته من المَنفى وقد ألقاها في الأوبرا الملَكية سنة ١٩٢٠ : يقول في مطلعها :

أنادى الرسم لو ملك الجوابــا وأجــزيه بــدمعـــى لــو أثـــابَا [3]

---

(1) الشوقيات . جـ ٤ . ص٥٣

(2) الشوقيات . جـ ١ . ص ٧٢

(3) الشوقيات . جـ ١ . ص٦٠

وهي قصيدة رائعة تعبر عن مشاعر الشاعر تجاه مصر بعد عودته من منفاه ، وفيها صدق وحرارة وشاعريّة وفيها يقول :

ويا وطني لقيتك بعد يأس ... كأني قد لقيت بك الشبابا

وكل مسافر سيئوب يوماً ... إذا رزق السلامة والإيابا

ولو أني دُعيتُ لكنت ديني ... عليه أقابل الحتم المجابا

أدير إليك قبل البيت وجهي ... إذا فهت الشهادة والمتابا

وقد سبقت ركائبي القوافي ... مقلدة أزمتها ، طِرَابَا[1]

إلى أن يقول :

شباب النيل إنّ لكم لصوتاً ... مُلَبىً حين يرفع مستجابا

فَهُزُّوا العرش بالدعوات حتى ... يخفف عن كنانته العذابا

أمن حَربِ البسوس إلى غلاء ... يكاد يعيدها سبعاً صعابا ؟

وهل في القوم يوسف يتقيها ... وَيُحْسِنُ حسبةً ، ويرى صواباً ؟

عبادك – رب – قد جاعوا بمصر ... أنيلاً سقت فيهم ، أم سَرَابَا ؟

حنانك واهد للحسنى تجاراً ... بها ملكوا المرافق والرقابا

وَرَقِّقْ للفقير بها قلوباً ... محجرة ، وأكبادا صِلاَبَا

---

[1] نفسه ص ٦١

أمــن أكـل اليــتــمــيم له عِقَــابٌ ومن أكل الفقيـــر فلا عقابــا ؟

أكُـــلٌ فـــــي كــتــاب اللـــه إلا زكــاة المـــال ليســت فيه بابا ؟

ولا كـــأولئــك الــبــؤســـاء شــاءً إذا جوعـــتـــهـــا انتشــرت ذئابا

ولـــولا الـــبـــر لـــم يبعــث رســـولٌ ولـــم يَحْمِلْ إلـــى قـــوم كتابًا [1]

وهذه نغمة وطنية تدل على عشقه للوطن ، وهى تعد ذات صلة بالسياسة ، لأنه نفي بعد أن عزل عباس حلمى الثاني ومنع من دخول البلاد ، وعين مكانه السلطان حسين كامل ، فنفي شوقي كان بسبب صلته بعباس حلمى الثانى .

وقد قسم شوقي ضيف حياة شوقي إلى قسمين : ما قبل المنفـــى ، ومـــا بعده . فما قبل المنفى كان شوقي لا شخصية له ، ولكنه بعد أن عاد انضم إلـــى الشعب ، والواقع أن هذا كان بفعل الظروف المحيطة بشوقي فقد قامـــت ثـــورة ١٩١٩ وتغير الوضع الاجتماعى والسياسي ، وقامت حكومة وطنية ، في البلاد . ويوضح شوقي ضيف موقف شوقي بعد عودته من المنفي فيقول : " أصبح شوقي إلى حد ما ديمقراطياً يعيش مع شعبه والشعوب العربيّة ،وكان مظهر ذلك في حياته أن أغلق داره أو كرمته في المطرية ، واتخذ له كرمة جديدة في الجيزة ، وفرغ لنفسه وحياته الخاصّة ، ونزهاته المختلفة في النيل والأهرام ." [2]

---

[1] نفسه ص ٦٠ - ٦٣

[2] شوقى شاعر العصر الحديث . ص ٣٧

ويقول أيضاً : " وإذن فمن الوجهة العامّة احتفظ شوقي بعد رجوعه من المنفى بخاصته الفنية المميزة له ، وهي أن يكون شاعر غيره ، كان شاعر عباس ، فأصبح شاعر الشعب المصري ، بل شاعر الشعوب العربية كلها ، ينبض قلبه بأحلامها وآمالها وما تكون فيه من جهاد وثورات . أما نفسه فإنه لم يفرغ لها قديماً ولا حديثاً ، إذ كانت طبيعته الفنية تقتضيه دائماً أن يخضع لغيره في صنع شعره ." [1]

فقد تحوّل من شاعر القصر إلى شاعر الشعب . ويقول الدكتور شوقي أيضاً : " وإنما هو من الشعراء الغيريين إن صح هذا التعبير ، قد وهب فنه وشعره لا لنفسه وإنما لغيره . ولكن من يكون هذا الغيربعد الخديوى عباس لقد ظل بإسبانيا نحو خمس سنوات وهو في تيه من الحيرة ، لا يدرى بمن يربط شعره ، ولذلك قل شعره هناك قلة شديدة ، فلما رجع إلى مصر ، ووجد الشعب المصري قد نهض من كبوته ، ونفض الغبار عن عينيه ، وبدأ خطاً مستقيماً لنهضة مباركة ، أحَسَّ أنه وجد القطب الذي يربط به نفسه ، فعاش في هذه الحقبة يختلط به في النوادي والأسواق . ويحاول أن يعبر عن حياته ومشاعره"[2]

---

[1] نفسه ص ٣٩ ، ٤٠

[2] نفسه ص ٣٩

والواقع أن الفترة التاريخيّة التى كان يعيشها شوقي كانت تحتم عليه أن يفعل ما فعل ، وقد فعل الشيء نفسه حافظ إبراهيم في ديوانه إذ نجد عندهما كثيراً من الموضوعات المشتركة مثل حريق ميت غمر ورثاء بعض الزعماء ، أو كبار المسئولين ، وإن كان حافظ أقرب إلى الشعب المصرى من شوقي . وقد شارك شوقي في بعض الموضوعات السياسيّة الإسلاميّة والعربية مثل موقفه من العدوان الفرنسي على دمشق : إذ قال :

سَلامٌ من صبا بردى أرق	ودمع لا يكفكف يادمشق
ومعذرة اليراعة والقوافى	جلال الرزء عن وصف يدق
وذكرى عن خواطرها لقلبي	إليك تَلَفُّتٌ أبداً وخفق
وبى مما رمتك به الليالى	جراحاتٌ لها في القلب عمق [1]

إلى أن يقول :

لحاها الله أنباءً توالَتْ	على سمع الولى بما يشق
وللمستعمرين وإن ألانوا	قلوبٌ كالحجارة لا ترق
رماك بطيشه ورمى فرنسا	أخو حرب ، به صلف وحمق
دَمُ الثوار تعرفه فرنسا	وتعلم أنه نور وحَقُّ

---

[1] ديوان شوقي . جـ ٢ . ص ٧٢

وللأوطـــان فــي دم كل حـــر يدٌ سَـلَفَـتْ وديـنٌ مستحِـقُ

ولا يبنـى الممـالك كالضحـايـا ولا يدنى الحقـوق ولا يحـق

وللحــريّــة الحــمــراء بــابٌ بكل يد مضـرّجَـةٍ يـــدق [1]

وهي قصيدة طويلة . وإن كانت تتعاملَ مع المحتل الفرنسي برقة ، كمـا أنّــه يتحدث عن السلطان العثمانى عبد الحميد الذي خلع من الحكم ، وهذا يدل علـى مشاركة في السياسة في العالم الإسلامي أيضاً ، لما كان بين تركيا والعالم العربي من صلات يقول شوقي :

سَـــلْ يَلْــدِزاً ذات القصــور هــل جـاءها نبــأ البـدور؟

لــو تـسـتطـيـع إجـابــة لبكتـك بالدمـع الغــزيــرْ

اخنــى عليهـا مـــا أنــاخَ علـى الخـورنـق والسَّدِيـرْ

ودهـــا الجـــزيرة بعــد اسمــاعيل والملك الكبيـر

ذهــب الجميــع فــلا القصــورُ تـرى ولا أهــل القـصــور

إلى أن يقول :

أيـن الأوانـــس فــي ذرا هــا مـــن مــلائكــة وَحُــورْ

المترعات مـــن النَّــعيـ ـمِ ، الـروايات من السـرور

---

[1] نفسه . ص ٧٣ – ٧٥

العاثرات من الدلال ... الناهضات من الغرور

من كل بلقيس على ... كرسيّ عزتها الوثير

إلى أن يقول مخاطباً السلطان عبد الحميد :

عبدَ الحميد حساب مثـ ... ـلك في يد الملك الغفور

سُدْتَ الثلاثين الطوا ... لَ ، ولسن بالحكم القصير

تنهى وتأمر ما بدَا ... لك في الكبير وفي الصغير

لا تستشير وفي الحمى ... عدد الكواكب من مشير

كم سبحوا لك في الروا ... ح ، وألّهوكَ لدى البكور

وهو يتعاطف مع السلطان ، لأنه أى شوقي شاعر سلطان مصر ولـذا نجـده يقول :

دخلوا السرير عليك يحـ ... تكمون في رب السرير

أعظم بهم من آسرين ... نَ وبالخليفة من أسير

أسد هصور أنشب الـ ... أظفار في أسد هصور

قالوا أعتزل قلت اعتزلـ ... ـتُ ، الحكم لله القدير [1]

---

[1] انظر القصيدة كاملة ، الشوقيات . جـ ١ . ص ٩٧ ، ١٠١

وتعاطفه مع السلطان ، يجعل القصيدة لا تعنى بالدلالة على خلعه وهـو السلطان الفاسد المعروف فساده . وعلى أية حال فالقصيدة مشاركة منه فيما يصل بالسياسة الإسلامية . إن صح هذا

ونجد لأحمد شوقي قصيدة رائعة يلقيها في الذكرى السابعة عشرة لوفـاة مصطفى كامل باشا . وهي قصيدة رائعة حقاً . يقول :

إلامَ الخلفُ بينكـمُ ؟ إلامـا	وهذه الضجةُ الكبـرى علامَا ؟
وفيم يكيدُ بعضكم لبعض	وتبـدون العداوة والخصاما
وأين الفوزُ ؟ لا مصر استقرت	على حالٍ ، ولا السـودان دامَا
وأيـن ذهبتـمُ بالحق لمّـا	ركبتم في قضيته الظلامَا ؟
لقد صارت لكم حكماً وغنما	وكان شعارها الموتَ الزؤاما[1]

إلى أن يقول :

شببتم بينكم في القطر ناراً	على محتلـه كـانت سلامَا
إذا ما راضهـا بالعقـل قـومٌ	أجد لها هوى قـوم ضِـرامَا
تراميتم فقـال النـاس قـومٌ	إلـى الخِذلانِ أمرهم ترامى
وكانـت مصر أول من أصبتـم	فلم تحص الجرام ولا الكلاما[2]

---

[1] ، [2] الشوقيات . جـ ١ ص ١٧٠

وهنا يهاجم الأحزاب السياسيّة في سنة ١٩٢٤ على خلافاتها على السلطان والحكم ، وما جرى بينها من تشاحن كان لصالح المستعمر البريطانى ، الذي ظل رابضاً في أرض مصر مستقراً بها . ثم يخاطب مصطفى كامل قائلاً :

شهيد الحق قم تره يتيماً　　　بأرض ضيعت فيها اليتامى [1]

ويصور وفاته ومن ساروا خلف نعشه ، كما يصور مرضه ، وجهاده في سبيل تحرير مصر ثم يبين فضله في إثار قضيته الوطنية ودفاعه عن الاستقلال . وهي قصيدة من أروع ما نظم شوقي وهي تدل على وعيه بأمور سياسية وخبرته وبها ، وعلى أية حال ، فقد مثل شوقي زمنه مثيلاً تمثيلاً طيباً .

---

[1] نفسه ص١٧١

وهذا الاتجاه الأخلاقي يدعو إلى مبادئ الأخلاق من كرم وشجاعة ونجدة ، وزهد في الدنيا ومتاعها ، كما أن الاتجاه الدينى لا يفصل عن هذا الاتجاه الأخلاقي ، ولكنه يركز على الجوانب المتصلة بالدين وما يدعو له من تسامح وبر وخير ، وإقامة شعائر الدين والحفاظ على المثل الأخلاقية الرفيعة . وأول من سنعرض له هنا هو حاتم الطائي .

حاتم الطائي

وهو من أجواد الجاهلية ومن الذين ضرب بهم المثل في الجود . بل هو الذي ضرب به المثل في الجود وحده . يقول ابن عبد ربه عن حاتم : " ولكنّ المضروب به المثل حاتمٌ وحده ، وهو القائل لغلامه يسار ، وكان إذا اشتد البرد وكَلِبَ الشتاء ، أمر غلامه فأوقد ناراً في بقاع من الأرض لينظر إليها من أضَلَّ الطريق ليلاً فيصمد نحوه ، فقال في ذلك :

أوقد فإنّ الليلَ ليلٌ قَرٌّ ... والريحُ يا موقد ريحٌ صِرٌّ

علّ يرى نارك مَنْ يَمُرُّ ... إن جَلَبْتَ ضيفاً فأنت حُرٌّ [1]

---

[1] ابن عبد ربه . العقد الفريد . جـ ١ ، دار الكتب العلمية . بيروت لبنان . د. ت ص ٢٤٢

وكان حَاتِمٌ كريماً كرماً زائداً عن المألوف ، ويقال إنه لم يكن يحتفظ إلا بفرسه وسلاحه ، لا يجود لأحد بهما [1] ويضرب القدماء أمثلة لكرمه هذا غير المألوف ، مثل أن يفتدي أسيرا ولم يكن يملك ما يفتديه به ، فوضع نفسه في القيد ، أو اشتراه ووضع نفسه في القيد حتى أدى فداءه . يقول ابن عبد ربه : " ومرّ حاتم في سفره على "عَنْزَه " وفيهم أسير ، فاستغاث بحاتم ، ولم يحضرُه فكاكه ، فاشتراه من العنزيين وأطلقه وأقام مكانه في القيد حتى أدى فداءه " [2]

والأمثلة كثيرة عن كرم حاتم حتى إنّه وإن كان لا يجود بفرسه لأحد إلا أنه يذبحه من أجل أبناء جيرانه الجياع ويطعم كل أفراد القبيلة ولكنّه هو نفسه لم يأكل منه شيئاً .

ويورد ابن عبد ربه قصة هذا الكرم على لسان " نوار"امرأة حاتم فيقول :

" وقالت نوار امرأة حاتم : أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض ، واغْبَرَّ أفق السماء ،وَراحت الإبل حدباً حدابير ، وضنت المراضع على أولادها ، فما تبض بقطرة ، وحلقت السنة المال ، وأيقنا بالهلاك ، فوالله إنا لفى ليلة صنّبْر بعيدة ما بين الطرفين ، إذ تضاغي صبيّتُنا جوعاً عبد الله وعدى وسفّانه ، فقام حاتم إلى الصبيين ، وقمت أنا إلىالصّبية ، فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل ، وأقبل

---

[1] نفسه ص ٢٤٢

[2] نفسه ص ٢٤٢

يعللنى بالحديث . فعرفت ما يريد فتناومت ، فلما تهورت النجوم إذا شيء قد رفع كسر البيت ثم عاد ، فقال من هذا ؟ قالت جارتك فلانة ، أتيتك من عند صبية يتعاوون عواء الذئاب ، فما وجدتُ مُعَوَّلا إلا عليك ياأبا عدى ، فقال أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم ، فأقبلت المرأة تحمل إثنين ويمشي بجانبها أربعة ، كأنها نعامة حولها رئالها ، فقام إلى فرسه فوجأ لبته بمدية فخر ، ثم كشطه عن جلدة ، ودفع المدية إلى المرأة ، فقال لها شأنك ، فإجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل ، ثم جعل يمشي في الحيّ يأتيهم بيتاً بيتاً فيقول : هبوا أيها القوم ، عليكم بالنار ، فإجتمعوا والتفع في ثوبه ناحية ينظر إلينا ، فلا والله إن ذاق منه مزعة ، وإنه لأحوج إليه منا ، فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلا عظم وحافر ، فأنشأ حاتم يقول :

مَهْلاً نَوَارُ أقِلِّي اللوم والعـذلا ... ولا تقولى لشيء فاتَ ما فَعَلا

ولاتقولى لمالٍ كنتُ مهلكه ... وإن كنت أعطى الإنس والخبلا

يرى البخيل سبيل المال واحدة ... إن الجواد يرى في ماله سبلا [1]

وهذه القصة – وإن صيغت على شكل النادرة – هي قصّة تصور المثل والمبادئ عند رجل كريم ، لا يتردد في بذل ما يملك في سبيل أن يعين غيره سواء أكان جائعاً أم أسيراً في حاجة إلى الفداء . فمثل هذا الرجل لا يظهر إلا في

---

[1] العقد الفريد جـ ١ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣

الشدائد ، وتقدر قيمة المال في وقت الحاجة . والقصّة تصور " حاتماً " وقد آثـر أبناء جارته على أبنائه ، لأن الجارة هى التى دفعته إلـى تقـديم حصـانة لهـا ولأولادها ولجيرانه جميعاً ، ولأولاده الذين لم يكن يجد ما يطعمهم به ، ما هـو فلم يتناول من فرسه شيئاً لأنه كان أثيراً لديه عزيزاً على نفسه .

وهو أيضاً يطلب من امرأته ألا تعاتبه على بذله المال فهو رجل يرى من واجبه أن يهب المال لمحتاجيه ويرى هذا هو السبيل الوحيد للمال عنـده وهـو الكرم وهي سبيل متعددة ، أما البخيل فليس أمامه من سبيل إلا الإمساك بالمـال وحَبْسُهُ عن محتاجيه .

وتصل القصص حول حاتم وكرمه حتى تصل إلى حد الأسـاطير مثـل قصة الخَيْبَرِيّ الذي مر بقبر حاتم ، وطلب منه أن يقريه ، فخرج حاتم من قبره ونحر بسيفه ناقة " الخيبري " ، فأكل وأكل من معه من لحم الناقة ، ثم يلقاهم ابن حاتمَ ومعه جمل يقول إن أباه حاتم جاءه في المنام وطلب أن يقدم للخيبري جملاً بدلاً عن جمله الذي ذبحه حاتم بعد أن خرج من قبره . ثم يزعم الخبر أن حاتماً قال لابنه أبياتاً في المنام هي :

أبا الخيبري وأنت امرؤ	حسـود العشيرة شتّـامها
فماذا أردت إلـى رمّـة	بـداوية صَـخبٍ هامُـهـا

أتبغي أذاها وإعسارها وحولك غوثٌ وأنعامُها

وإنّا لنطعمُ أضيافنا من الكوم بالسيف نعتامُها[1]

وهي قصة لا أساس لها من الصحة ، بل هى من الأخبار التى توضح مدى الكرم التى يتمتع به حاتم الطائي .

ويقول حاتم لنفسه :

أماويّ قد طال التجنب والهجر وقد عذرتنا في طلابكم العُذرُ

أماويّ إن المال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الأحاديث والذكر

أماويّ إما مانعٌ فمبيّنٌ وإمّا عطاءٌ لا ينهنهه الزَّجْرُ

أماويّ إني لا أقولُ لسائلٍ إذا جاء يوماً حَلّ في مالِيَ النَّزْرُ

أماويّ ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

أماويّ إنْ يصبح صداي بقفرة من الأرض لا ماءٌ لديّ ولا خَمْرُ

ترَيْ أن ما أنفقت لم يكُ ضرّني وأن يدي مما بخلتُ به صفر[2]

وهذه الأبيات تدل على أن الكرم لدى " حاتم " هو فلسفة حياة آمن بها ولم يتردد في الدفاع عنها ، وتحقيقها في الواقع الذي كان يعيش فيه . وهو مؤمن أن ما سيذكره الناس عن كرمه أهم من المال الذي ينفقه ، فالأحاديث والذكر أهم لديه

---

(1) نفسه ص ٢٤٣ ، ٢٤٤

(2) نفسه ص ٢٤٤

من المال . ومن أجل هذا ضرب المثل بحاتم في الكرم : " قالت العرب : أسخى من حاتم "[1] .

---

[1] العقد الفريد جـ ٣ ص ٩

أبو العتاهية اسماعيل بن القاسم من كبار الشعراء في العصر العباســي ، وكان يبيع الجرار الخضر ، ولكنه نبغ في الشعر وصار شاعراً يمدح ويهجــو .

ومن هجائه الخبيث قوله في أبى الفضل بن معن بن زائدة :

قال ابن مَعْنٍ وَجَلَّى نفسه ... على القربات من الأهل

هل في جَوَارِي الحَيِّ من وائل ... جاريةٌ واحدةٌ مثلي

أكنى أبا الفَضْلِ فيا من رأى ... جاريةً تكنى أبا الفَضْلِ

قد نَقَّطَتْ في خدّها نُقْطَةً ... مَخَافَةَ العَيْنِ من الكُحْلِ[1]

وهو يفحش فيها فحشاً شديداً . وله في الغزل أيضاً :

ياقُرَّةَ العين كيف أَمْسَيْتِ ... أعْزِزْ علينا بما تشكَّيْتِ

وقوله :

آهِ مِنْ وَجْدي وَكَرْبي ... آهِ من لَوْعَةِ حُبي

ما أشد الحب يا سبحا ... نك اللَّهُمَّ.... رَبِّي[2]

وقال يمدح أيضاً :

---

[1] العقد الفريد . جـ ٦ . ص ٣٦

[2] نفسه . جـ ٧ ص ٨٣

إن السَّلامِ وإنّ البِشْرَ من رَجُلٍ | في مثل ما أنْتَ فيه ليس يكفيني
هذا زَمَانٌ ألَمَّ الناسُ فيه على | زهو المُلُوكِ وأخلاقِ المساكين
أمّا عَلِمْتَ جزاكَ اللّه صَالِحَةً | عَنِّي وزادكَ خيْراً ياابن يقطين
إنّي أريدُكَ للدنيا وعاجلها | ولا أريدك يومَ الدينِ للدين [1]

وهو مدح طيب : وله يمدح أيضاً :

أمينَ اللَهِ أمْنُكَ خيْرُ أمْنٍ | عليك من التُّقى فيه لبَاسُ
تُسَاسُ من السَّماءِ بكل فضلٍ | وأنت به تسوسُ كما تُسَاسُ
كأنّ الخلق رُكِّبَ فيه رُوحٌ | له جَسَدٌ وأنْتَ عليه رَاسٌ [2]

وله أيضاً من المديح الجيد :

إنيّ أَمِنْتُ من الزّمانِ وَرَيْبِهِ | لمّا عَلِقْتُ من الأميرِ حِبَالاَ
لو يستطيع النَّاسُ من إجْلاَلِهِ | لَحَذَوا له حُرَّ الوجُوهِ نِعَالاَ
ما كان هذا الجُودُ حتى كنتَ يا | عُمَراً ، ولو يَوْماً تَزُولُ لَـزَالاَ
إنّ المطايا تشتكيكَ لأنها | قَطَعَتْ إليكَ سَبَاسِباً وَرِمَالاَ

---

[1] المبرد. الكامل في اللغة والأدب .ج ـ ٢. مؤسسة المعارف . بيروت ،لبنان ،١٩٨٥ ص ٢٢

[2] نفسه ص ١١٣

فإذا أتينا بِنا أتينَ مُخِفَّةً   وإذا رَجَعْنَ بنا رجعن ثقالاً [1]

وهو شعر جيد الصياغة ، جيد العبارة ، جيد الصورة ، ولكنه كأغلب شعر المديح لا يخلو من المبالغة التي كانت ترضى غرور الممدوحين . مثل قوله إن الناس لو استطاعوا صنعوا لهذا الممدوح نعالاً من حُرّ وجوههم ، لكنه سبق قوله هذا بقوله : لو يستطيع الناسُ من إجلاله .

وقد اتخذ أبو العتاهية الزهد موضوعاً لشعره . وقد وصم بعض الباحثين شعره بأنه لا يمثل زهداً إسلامياً ولكن زهداً ما نوياً . ومع أن الشرطة التى كانت تتولى محاسبة الزنادقة ، ومراقبتهم ، وجدته مسلماً صحيح الإسلام ، يصلي ويصوم كسائر المسلمين ، ولم يتثبت عليه تهمة الزندقة ، وقد وصم أيضاً بالبخل ، وأنه يجمع بدر المال في حين يتحدث عن الزهد ، والإحسان إلى الفقراء : ومن شعره في الزهد :

يا مَنْ تَشَرَّفَ بالدنيا وزينتها   ليس التشرف رفع الطينِ بالطينِ
إذا أردتَ شريفَ الناس كلهم   فانظر إلى ملك في زيٍّ مسكينِ
ذاك الذي عَظُمَتْ والله نِعْمَتُهُ   وذاك يصلح للدنيا وللدينِ [2]

---

[1] كتاب الأمالى . جـ ١ . دار الكتب العلميّة . بيروت . لبنان . د ت ص ٢٤٣
[2] العقد الفريد . جـ ١ . ص ٣٦

وهو في هذه الأبيات يزهد في الدنيا وزينتها ، ويرى أن الشرف ليس فيما تشيده فيها من دور وقصور ، وإنما الشرف هو أن تزهد فيها حتى ولو كنت ملكاً ـــ وتكون مسكيناً متواضعاً خاضعاً لله . وهذا الملك الذي يزهد في زى مسكين هو أشرف الناس كلهم ، وهذا المسكين يصلح للدنيا والدين معاً ، وتعظم نعمته لزهادته في دنياه .

ويشكو أبو العتاهية من أخلاق معاصريه وسوء معاملتهم إياه ، فيقول :

يارَبِّ إن الناسَ لا ينصفونني	**وكيف ولو أنصفتُهم ظلَمُوني**
وإن كان لي شيءٌ تصدوا لأخذه	**وإن جئتُ أبغي سَيْبَهُمْ منعوني**
وإن نالهم بَذْلي فلا شكر عندهم	**وإن أنا لم أَبْذُلْ لهم شتموني**
وإن طرقتني نقمةٌ فرحوا بها	**وإن صحبتني نِعْمَةٌ حسَدُوني**
سأمنع قلبي أن يحنَّ إليهمُ	**وأحجبُ عنهم ناظري وجفوني**[1]

فالناس لا ينصفونه إن أنصفهم ، بل يفعلون عكس ما هو متوقع منهم فهم يظلمونه لأنهم ينصفهم ، وإن كان له شيء غصبوه إيــاه ، وإن أراد عطــاءهم منعوه ، وإن أعطاهم لم يشكروا له عطاءه ، وإن منعهم شــتموه ، وإن أصـــابته

---

(1) العقد الفريد . جـ ٢ ص ١٧١

مصيبة فرحوا بذلك ، وإن مَنّ الله عليه بنعمة حسدوه عليها ، ومن ثم سيبعد عنهم حتى لا يراهم بعينيه .

ويذم أبو العتاهية البخل فيقول :

فارمِ بطرفك حيث شئـ ـتَ فـلا تـرى إلا بَخيـلاَ [1]

فهو لا يرى في مجتمعه كريماً واحداً ، بل يرى الناس جميعاً بخـلاء .

وقال أيضاً :

للهُ درُّ أبيـك أي زمـان أصبحتَ فيه وأيّ أهـل زمـانِ

كلٌ يوازنكَ المودةَ جاهدا يُعْطِي ويأخذُ منكَ بالميزانِ

فإذا رأى رجحان حبّةِ خَرْدَلٍ مالت مودتُهُ إلى الرجحان [2]

فالناس لا يعرفونه إلاّ للمنفعة ، وهم يزنون ذلك وزناً دقيقا ، ولذلك فهي مودة غير خالصة لوجه الله والمودة . ثم يتحدث عن أن بشاشة الوجوه من طالبي عطائه تكون ظاهرة بادية ، وإن هو طلب عطاءهم يقطبون ويعبسون ، ويقول إنه سوف يعاملهم شحاً بشح وبخلاً ببخل .فيقول :

أرى قوماً وجوههم حِسَانٌ إذا كانت حوائجهم إلينا

وإن كانت حوائجنا إليهم يقبّح حُسْنُ أوجههم علينا

---

[1] العقد الفريد . جـ ٢ . ص ١٩٢

[2] نفسه ص ١٩٢

فإن منع الأشحة ما لديهم   فإنا سوف نمنع ما لدينا [١]

ومع حديثه عن الزهد ، ومحاربته الشح والإمساك ، فإنه يفهم طبيعة النفس البشريّة التى تحبُ الدنيا حُبًا جَمًا ، مع ما يرونه من الموت والفَنَاءُ من حولهم لغيرهم من الناس . يقول :

كلنا نكثر الملامة للدنيا   وكلنا بحبها مفتون

والمقادير لا تناولها الأو   هام لطفاً ولا تراها العيون

ولركب الفناء في كل يوم   حركاتٌ كأنهن سكونُ [٢]

وقال أبو العتاهية يصف الموت :

كأن الأرض قد طُوِيَتْ عَلَيَّاً   وقد أُخْرِجْتُ مما في يديَّا

كأني صِرْتُ منفرداً وحيداً   ومر تهنا لديك بما عَلَيَّا

كأن الباكيات عَلَيَّ يوماً   ولا يغني البكاءُ عَلَيَّ شيَّا

ذكرت منيتي فَنَعَيْتُ نَفْسِي   ألا أسعد أُخَيَّك يا أُخَيَّا

وهو يصور موقفه هو من الموت ، وقد صار فقيراً ، وخرج من ماله وبكى عليه الباكون والباكيات ، بكاء لا نفع له فيه ، بل إنه عندما ذكر الموت

---

[١] نفسه ص ١٩٢

[٢] العقد الفريد . جـ ٣ . ص ١٢٣

نعى نفسه لنفسه ، ويطلب من أخيه أن يساعده على أن يهيئ لنفسه النهاية الطيبة .

وكان مشغولاً بالموت ، ويبين أن الدنيا فانية ، وأنها دنيا عناء ومتاعب ، وأنها منزل لا بقاء لأحد به ، وينهى عن الصبا أو تعلق بالنساء أو الدنيا ، ويطلب إلى الإنسان أن يكون منصفاً فيقول خيراً أو ليصمت ، وفي هذا البيت تضمين لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيْراً أو ليصمت ."

من يعش يكبرْ ومن يكبرْ يمتْ — والمنايا لا تبالى من أتتْ

نحن في دار بلاء وأذى — وشقاء وعناء وعَنَتْ

منزلٍ ما يثبُتُ المرءُ به — سالماً إلا قليلا إن ثَبَتْ

أيها المغرور ما هذا الصبا — لو نَهَيْتَ النفس عنه لانتهتْ

رحم الله امرأ أنصف من — نفسه إذ قال خيراً أو سكت [1]

وهو يرى الزمن يعمل على هدم الحياة ، مع أنه يفرح كلما طلع الهلال ويبين أن الإنسان يتخوف مما لا يراه ، ويرجو من الآمال والأحلام مالا يمكن

---

[1] نفسه ص ١٣٨ ، ١٣٩

نواله . ويوضح أن الحياة متغيرة لا تثبت على حال ، وإنّما عند الله يوم القيامة يختبر الناس عن أعمالهم . ومطامع الدنيا تحدث القطيعة بين الناس .

ستخلق جِدّةٌ وتحولُ حالٌ ... وعند الحق تختبر الرِّجالُ

وللدنيا وَدائِعُ في قلوبٍ ... بها جَرتْ القطيعةُ والوِصالُ

تَخوّفْ ما لعلك لا تراهُ ... وترجو ما لعلك لا تنالُ

وقد طلع الهلال لهدم عمري ... وأفرح كلما طلع الهلالُ[1]

والموت هو الدليل الذي يعتمد عليه أبو العتاهية فيما يعتمد للتزهيد في الدنيا وبيان أنها غير باقية ، ليبين أن الزهد فيها وبذل المال أفضل من البخل والإمساك وهنا يكون الموت خير واعظ للناس في رأيه . فما من مكان إلا والموت يمارس إفناء الناس فيه ، وأنه يسقي الناس بكأسه أينما كانوا : يقول :

وليس من منزلٍ يأويه مُرْتَحِلٌ ... إلا وللموت سيفٌ فيه مَسْلُولُ[2]

ويقول أيضاً :

ما أقرب الموت منا ... تجاوزَ اللهُ عَنّا

كأنّهُ قد سقانا ... بكأسه حيثُ كنا [3]

---

[1] نفسه ص ١٣٨

[2] نفسه ص ١٣٩

[3] نفسه ص ١٣٩

ومن حديثه عن مطاردة الموت للإنسان ؛ مع رغبة الإنسان في الخلود ، وأنه لا يطمئن على البقاء حيا حتى مطلع الصبح : قوله :

أؤمّل أنْ أُخَلَّـدَ والمنـايـا | يثبـن عَلَيَّ من كل النّواحِي

وما أدري إذا أمسيت حيا | لعلي لا أعيش إلى الصبـاحِ [1]

ويدعو إلى التوبة عن المعاصي والرجوع إلى الله ، وخاصة إذا شاب المرء ، فعليه أن يستعد لمصيره فإن الموت آتٍ على كل حال . وقد يموت الطبيب ويبقي المريض الذي داواه من المرض حياً ، كما أن من يتوب يخاف من غضب الله ، فكيف بمن لا يتوب ، ويمعن في اقتراف المعاصي . يقول :

نعى لك ظِلَّ الشَّبابِ المَشِيبُ | وَنَادَتْكَ باسم سواك الخطوبُ

فكن مستعداً لريب المنون | فَإنَ الذي هو آتٍ قريبُ

وقبلك داوى الطبيبُ المريضَ | فعاش المريض ومات الطبيبُ

يخافُ على نفسِهِ من يتوبُ | فكيف ترى حال من لا يتوبُ [2]

ولينفر أبو العتاهية من جمع المال ، يوضح لجامع المال مصير ماله بعد موته ، فيرى أن ورثته عما قليل سينسونه وإن بكوه لأنهم يملون البكاء ، ويكون حديثهم عَنْ نصيبهم من الميراث .فإن لم يكن قد أنفق من هذا المال حتى ينال

---

[1] نفسه ص ١٤٠

[2] نفسه ص ١٤٠

رضا الله فما أبقى له المال شيئاً أى أنه لم يستفد منه إلا الورثة ، أمّا هو فلم يستفد شيئاً . يقول :

أبقيت مالك ميراثاً لوارثه — فليت شعرى ما أبقى لك المال ؟

القوم بعدك في حال تسوءهم — فكيف بعدهم دارت بك الحال ؟

ملوا البكاء فما يبكيك من أحد — واستحكم القيل في الميراث والقال ![1]

ثم إن دفن الميت في هذه الحياة واعظ للحيّ ، وقد توفي لأبي العتاهية ولد فقال بعد دفنه ، إن موت الطفل قد وعظه وعظاً يفضل وعظه له وهو حيٌ : يقول :

كفى حزناً بدفنِكَ ثم إنيِّ — نفضتُ تراب قبركَ من يَدَيَّا

وكنتَ وفي حياتِكَ لى عظاتٌ — فأنتَ اليوم أوعظ منكَ حيًّا[2]

" ولما حضرت أبو العتاهية الوفاة ، واسمه اسماعيل بن القاسم أوصى بأنْ يكتب على قبره ، هذه الأبيات الأربعة :

أُذْنَ حَيٌّ تَسَمَّعِي — اسْمَعِي ثم عِي وعِي

أنا رهن بمضجَعِي — فاحذري مثلَ مَصْرَعِي

عشت تسعين حِجّةً — ثم وَافَيْتُ مَضْجعي

---

[1] نفسه ص ١٦٤

[2] نفسه ص ١٩٩

ليس شيء سوى التُّقَى　　فخذي منه أوْ دَعِي (1)

وهذه الوصيّة التى أراد أن يكتبها على قبره ، هي وسيلة للوعظ والتنفير من الدنيا والزهد فيها .

ومع أن أبا العتاهية كان يذم الدنيا ويدعو إلى الزهد فيها ،فإنه كان يمدح وله رسالة إلى الفضل بن معن بن زائدة بعد أن طلب عطاءه فلم يعطه ، وله فيها شعر كذلك ، يقول في الرسالة : " أمّا بعد ، فإنى توسلت إليك في طلب نائلك بأسباب الأمل ، وذرائع الحمد ، فراراً من الفقر ، ورجاء للغنى ، فازددت بهما بعداً مما فيك تقرّبْتُ ، وقربا مما فيه تبعّدتُ ، وقد قَسَمْتُ اللائمة بينى وبينك ، لأنى أخطأت في سؤالك ، وأخطأت في مَنْعِى ، أمرت باليأس من أهل البخل فسألتهم ، ونُهيتَ عن منع أهل الرغبة فمنعتهم ، وفى ذلك أقول :

فررت من الفقر الذى هو مدركى　　إلى بُخْلِ محظورِ النّوَالِ مَنُوعِ

فأعطيني الحرمانَ غِبّ مطامعي　　كذلك من يلقاه غير قَنُوعِ

وغير بديع مَنْعُ ذي البخْلِ مَالَهُ　　كما بذل أهل الفضل غير بَديع

إذا أنتَ كَشَّفْتَ الرجال وجدتهم　　لأعراضهم من حافظ ومضيع (2)

---

(1) نفسه ص ٢٠٥

(2) العقد الفريد . جـ ٤ . ص ٣١٩ ، ٣٢٠

ولكنه يظل يتخذ من الموت أداة للوعظ ، فالموتُ من أدواته الهامّة في التزهيد في الحياة ولذلك يكون الرثاء وسيلة لذلك : يقول راثياً مَنْ اسمه عليُّ :

يا عليُّ بن ثابتٍ بان منّي صاحبٌ جلّ فقده يوم بنتا

يا عليُّ بن ثابتٍ أين أنتا أنت بين القبور حيث دفنتا

قد لعمري حكيتَ لي غصص المو ت وحركتني لها وسكنتا [1].

ويقول أيضاً : في الرثاء :

صاحبٌ كان لي هلك والسبيلُ التي سلَكْ

يا عليُّ بن ثابتٍ غفر اللّه لي ولك

كل حيٍّ مُمَلَّكٍ سوف يفنى وما مَلَك [2]

ومن رثائه كذلك قوله :

طوَتْكَ خطوبُ دهركَ بعد نشْرٍ كذاك خطوبُهُ نشْراً وطيّا

فلو نَشَرتْ قواكَ لي المنايا شكوتُ إليك ما صنعتْ إليّا

بكيتك يا أُخَيَّ بدمع عيني فلم يغن البكاءُ عليك شيّا

كفى حزناً بدفنِكَ ثم إنّي نفضْتُ تراب قبرِكَ من يديّا

---

[1] المبرد . الكامل : جـ ١ ص ٢٣٨

[2] المبرد . الكامل . جـ ١ ص ٢٣٨

وكانت في حياتك لي عظاتٌ   وأنت اليومَ أوْعَظُ منكَ حيّاً[1]

وهي مقطوعة جيدة النظم والتعبير . وكما قلت يكون الموت أداة الوعظ عنده . ثم يشير إلى تفاهة الإنسان مستمداً من القرآن الكريم ومن غَيْرِهِ ثم يوظفه في الوعظ . إذ يقول :

ياعجباً للناس لو فكروا	وحاسبوا أنفسهم أبصروا
وعبروا الدنيا إلى غيرها	فإنما الدنيا لهم مَعْبَرُ
الخيرُ مما ليس يخفى هو	المعروف والشرُّ هو المنكَرُ
والموعدُ الموتُ وما بعده	الحَشْرُ فذاكَ المَوْعِدُ الأكبَرُ
لا فخرَ إلا فَخْرُ أهل التقى	غداً إذا ضمَّهُمُ المَحْشَرُ
لِيَعْلَمَنَّ الناسُ أن التقى	والبرَّ كانا خير ما يُذْخَرُ
عجبت للإنسان في فخره	وهو غداً في قبرِهِ يُقْبَرُ
ما بالُ من أوَّلُهُ نطفَةٌ	وجيفةٌ آخِرُهُ ..... يَفْخَرُ
أصبح لا يملك تقديم ما	يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره	في كل ما يُقْضَى وما يُقْدَرُ (٢)

(١) نفسه ص ٢٣٩

(٢) نفسه ص ٢٣٩

والقصِيدة تتناول معانى إسلامية وكثير من معانيها مأخوذ مـن القـرآن والسُنَّة ومن الحكم والمواعظ المعروفة في زمن الشاعر وهـو يـذكر بالعمـل وبالحساب ، وبأن التقاة هم الفائزون . كما يطلب إلى المرء ترك الفَخْر، فأصـله معروف ، وهو لا يملك من امر نفسه شيئاً ، بل الأمر كله لله تعالى ، وأن الخير معروف والشر معروف . ومن أراد الوصول إلى الجنة عمل مـا يمكنـه مـن الوصول إليها فأطاع الله ورسوله .

ويقال إنه رؤى واقفاً في طرف المقابر وهو ينشد :

نُنَافِسُ في الدنيا ونحن نَعِيبُهَا ... وقد حَذَّرَتْنَاها لعمري خُطُوبُها

وَمَا نَحْسَبُ الأيامَ تنقص مدة ... بل إنها فينا سريعٌ دَبِيبُهَا

كأنى برهطى يحملون جنازتى ... إلى حُفْرَةٍ يخشَى علىَّ كثيبها

فكم ثمَّ من مُسْتَرجعٍ متوجِّع ... ونائحة يعلو علىَّ نحيبها

وباكيةٍ تبكى علىَّ وإننى ... لفى غفلة عن صوتها ما أجيبها

إيا هَادِمَ اللذاتِ ما منك مَهْرَبٌ ... تحاذر نفسي منك ما سَيُصِيبُهَا [1]

وهو في هذا يذكر بالآخرة، وينفر من الدنيا وزينتها عندما يصور نهايـة رحلة الحياة ، وأنها لا مَفَرَّ منها، وأنها نهاية لا تسر الإنسانَ لأنه لـن يسـتفيد

---

[1] ذيك الأمالى . دار الكتب العلمية . بيوت . لبنان . د ت ص ٦٨

بحزن من يحزن عليه ، بل ولن يدرك هذا الحزن بل يكون غافلاً عن ذلك ، ويعلم أن الحذر من الموت لا يمنع وقوعه وذلك بعد أن يقدم لهذا بتنافس الناس على الدنيا ومتاعها ، رغم أن الأنسان قد يعيبها ، ويصور خطوات الزمن السريعة التى تطوى حياة الإنسان وتبعث به إلى العدم .

بل إنه قد يتخذ الرثاء لتصوير تبدل حال الإنسان من نعيم الدنيا ، وزخرفها إلى نهاية هى الموت ، وأن يُدَسَّ في التراب . وكأنه يقيم مقابلة بين حالية : في الدنيا وفي الآخرة : يقول في بعض إخوانه :

وقد كنتُ أغدو إلى قصره ... فقد صرت أغدو إلى قبره

أخٌ طالما سَرَّني ذكره ... فقد صرت أشجى لدى ذكره

وكنت أراني غَنِياً به ... عن الناس لو مُدَّ في عمره

وكنت إذا جئت في حاجَةٍ ... فأمري يجوز على أمره

فتى لم يملَّ الندى ساعةً ... على عسره كان أو يُسْرِهِ

تظل نهارك في خيره ... وتأمن ليلك من شَرِّهِ

فصار عليٌّ إلى ربِّهِ ... وكان عليٌّ فَتَى دهره

أتَمَّ وأكْمَلَ ما لم يَزَلْ ... وأعظمُ ما كان في قدره

أتتهُ المنيّةُ مُغْتَالَةً ... رويداً تخلَّلُ من سِتْرِهِ

فلم تُغْنِ أجناده حوله ... ولا المزمعون على نصرِهِ

وَخَلَّى القصور التى شـــادها وَحَلَّ من القبر في قعـــره

وَبُدِّلَ بِالْفُرْشِ بُسْطَ الثـرى وطيبَ نـدى الأرض مِنْ عطره

وأصبح يُهْدى إلى مـــنـــزل عميق تُؤُنِّقَ فـــي حـفـــره

تُغَلَّقُ بالتُـــرْبِ أبـــوابُـــهُ إلى يوم يُؤْذَنَ في حشْرِهِ

أشَدُّ الجماعة وَجْـــداً بـــه أشد الجماعة في طَمْـــرِهِ

فلست مشيعِّــه غـــازيـــاً أميراً يسير إلـى ثغـــرِهِ

ولا متـــلـــقـــيَـــةً قـــافِـــلاً بقتْـلِ عـــدو ولا أســـره

وتطريه أيامنـا الباقيـــات لدينا إذا نحن لم نُـطْـــرِهِ

فلا يَبْعَـــدَنَّ أخـــي ثـــاويـــاً فكل سيمضى على إثْـــرِهِ[1]

وهذه القصيدة تعقد مقابلة بين الحياة وبين مصير الإنسان بعدها ، وهـــى كأنها تنفر من الحياة وزينتها وتصور الناس وهم يعيشون في رفاهية ثم يلقـــون نهايةِ مجافية لما كانوا فيه من نعيم والقصيدة تقوم التضاد والتقابل .

---

[1] الأمالى . جـــ ١ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧

الشاعر كامل أمين (١٩١٥ - ٢٠٠٣)

وكامل أمين ولد في مدينة طنطا سنة ١٩١٥م ، وتوفى في مايو ٢٠٠٣.

وقد اشتهر بملاحمه وقصائده الأخرى . ومن أشعاره الدينية والأخلاقية قوله :

لقد خُلقْنا فأبصرنا الوجود كما ... كان الوجود قديماً بعدما اكتملا

أجَلْ خلقنا فأبصرنا الوجود فَمَا ... زدنا على ما به شيئاً وإن ضَئُلاً

فَهَلْ صنعنا هَوَاءً كي نعيش به ... غير الهواء الذي في صَدْرِنَا دَخَلاً

وهل فصلنا عن البحر السَّحابَ كي ... يعود للأرض أمطاراً إذا هطلاً

وهل رددنا على الأفلاكِ أنجمها ... أو اصطنعنا بها من نجمها بَدَلاً

إذن فلم ينشئ العقل الوجود ولكن ... كان يكتشف الأسباب والعللا [1]

وهو يدافع عن ان العلم اكتشاف لما خلقه الله ، ولا يستطيع الإنسان ان يغير في هذا الواقع الذي يعيش فيه الإنسان ، فالمطر ناجم عن ماء المطر ، والكواكب ما تزال في مواقعها .

ويستنتج من عجز الإنسان عن تغيير وتبديل الكون ، أن هناك خَالِقاً للكون غير الإنسان ، وهو الله تعالى .

إذن فلابد ان الكونَ أنشأهُ ... غيرى وغيرك موجود من الأزل

---

[1] عماد محمد إبراهيم ، ملاحم كامل أمين . رسالة ماجستير مخطوطة - جامعة المنصورة ، ٢٠٠٦ ص ١٠١

وهى أفكار دينية أخلاقية لا أظن أن عليها خلافاً بين المسلمين ، وهو يدعو إلى الوحدة العربيّة والإسلامية حتى لا يمتحننا الله بالمحن : يقول :

ما سلط الله التتار على بلا ... دِ المسلمين عقوبة ووَبَالاَ
أنسيتم أنّا نحاربُ بعضنا ... بعضا ، فضيعنا دماً ورجالاَ
هذي بلاد المسلمين تفككت ... فيها العُرىَ وتَمّزقت أوصالا
في كل صُقْعٍ بينكم ملك يحا ... ربُ جاره يبغى قِرىً أو مَالاَ
حتى انتهى بهم التفرق بيننا ... للضّعْفِ والنُّوَبِ التى تتوالى

وهذه المقطوعة تدعو إلى الوحدة بين المسلمين لأن غياب الوحدة هو الذي أضعف الأمة العربية والإسلامية . ويعود لفكرة الوحدة كثيراً ، وأنها هي التى تحمى المسلمين كما أننا ينبغى أن نتمسك بمبادئنا ، ونتخذها شعاراً : .

يقول :

لقد كانت مبادئنا مناراً ... فأهملناه فانطفأ المنار
فما افْتَرَقَتْ ديار العرب إلا ... لأن ملوكها اختلفوا فحاروا
وأصبح همهم في الملك لا فى ... اجتماع الشمل كى تقوى الديار
لو اتحدت ديار العرب عزت ... وكان لها على الدنيا الفخارٌ

ويصر الشاعر على أن المسلمين لو تمسكوا بمبادئهم لكان لهم العزة والمَنَعَةُ والفخار ، ولكن ملوكهم اختلفوا ، وأصبح هَمُّهُم الحصول على الملك فحسب.

ويصور الشاعر أهمية الاتحاد في قصيدة طيبة ، فيقول :

في أوّلِ الأمر كان الشرق مجتمعاً ... على الجهادِ بكلّ العُرْبِ فانتصرا

لم يبلغوا عشر معشار الجيوش من الرّ ... ومانِ والفرس حتى يبلغوا الخطرا

لكنهم أشربوا الإسلام معرفة ... كان السماحُ لها بالروم منتظرا

فقدموا في الجهاد النفس تضحيةً ... واستعذبوا الموتَ وِرْداً والعذابَ قِرِيَ

فكان في كل قلب من قلوبهم ... كتيبة زلزلت في قلب من كفرا

فصارتْ الألف آلافاً مؤلفةً ... تواجه الفرسَ والرومان والقدرا

تواجه العالم المادي بالمدد الروحيّ كالضغط في البركان فانفجرا

والشاعر هنا يتحدث عن الجهاد والاتحاد معاً ، فالمسلمون انتصروا بالاتحاد وببذل النفس في سبيل الله ، فأصبح الواحد منهم كتيبة يحسب لها ألف حساب ، وصارت الألف مقاتل منهم تساوى ألوفاً من غيرهم من جنود البلاد المادية ، الكافرة .

ويتحدث الشاعر عن فضل الإسلام على العرب ، فيقول :

كُنَّا عراة من الأخـلاق يستـرنـا || العرب لكننا لم نرتد الشيما

كُنَّا رعاة فَنِمْنَا عـن رعيتنـا || فجاءنا الذئب يرعانا لـه غنمَا

خفنا منا الحرب أن يجرى بها دمنا || فغطت الأرض منـا أدمعـا ودمـا

وهنا يشير الشاعر إلى ما يفرض الإسلام على المسلمين من المبادئ الأخلاقية ، كالأمانة والعفّة ، والتسامح مثلاً والشجاعة ، ولكننا لم نطبق تلك المبادىء ، فكانت النتيجة الهزيمة والاحتلال .

ويتحدث عن المغفرة التى يتقدم بها العاصى إلى الله تائباً من ذنوبه آملاً في رضاه عنه وهي عبارة عن دعوة إلى الأخلاق وطاعة الله .

تركتُ إليك الأمر يا من لك الأمـر

ويا من على ما بى لك الحمد والشكـر

رجعت من الدنيا إليك كما ترى || وَكلِّيَ ذنوبٌ ليس لى بعدها عُـذْرُ

فإن شئت أن تعفو فبرك سابـق || ورَأفْتَ به العاصي ومن حَدُّهُ الكُفْـرُ

وإن أنت لم تغفر ولا غافـرٌ لنـا || سواك فنعيم العفو لوفاتنا الـوزر

وإن لم يكن للذنـب إلا تـذللى || إليك لكى ترضى كفانى بـه الفَخْـرُ

أرى من خلال الدمع عفوك مدركى || كما يدرك الحرَّاءَ والظامىء القطر

كفَرْحَةِ أسراب العطاش من القطا || إذا لاح من بين القفار لها نَهْـرُ

وهو يؤمل بعفو الله عنه ، ويرى أن فرحته بذلك تكون كفرحة الظمآن بالماء ، أو فرحة سرب القطا الظمآن إذا ما رأى في الصحراء المقفرة نهرا .

وله شعر يكثر فيه من الحكم ، ولكنه يدعو إلى الأخلاق من خلال هذا الشعر ، كما يدعو فيه إلى قبول الناس على ما عم عليه من خير أو شر ، ويرى أن من يزرع الشر يحصده ، ومن يصنع الخير يحصده كذلك : يقول :

إذا رأيت وجوه الناس عاريةً ... من الحياء فَعَرِّ الوَجْهَ وانطَلِقِ

ما كل من مَدَّ كف البطش منتقم ... ولا كل من أمّ قوما في الصلاة تَقِي

خذ من سواك على الأحداث موعظةً ... تكفيك ما ناله فيها من الأرَقِ

وهكذا يمضى في مثل هذه الحكم ، وهي حكم ليس مصاغه صياغة رائعة دائماً .

وليس الشعر الأخلاقي والدينى قاصراً على الشاعر كامل أمين فإن احمد شوقي له فيه باع طويل ، وهو يصوغه صياغة راقية جداً لأن أحمد شوقي كان حريصاً على ألا يظهر شعره إلا في أبدع صياغة . ونرى له في ذكرى المولد النبوي شعراً جميلاً مثل قصيدته التالية :

أخا الدنيا أرى دنياك أفعى ... تبدّل كلّ آونةٍ إهابا

وأنّ الرُّقْطَ أيقظُها جعاتٍ ... وأنزمُ في ظلال السلم نابا

فمن يغتر بالدنيا فإني ... لبستُ بها فأبليتُ الثيابا

جنيتُ بروضها ورداً وشوكاً ... وذقتُ بكأسها شهْداً وصَابا

فلم أرَ غيْرَ حكم اللهِ حكماً ... ولم أر دون بَابِ اللهِ بَابَا

ولا عظّمتُ في الأشياء إلاّ ... صحيحَ العلم، والأدبَ اللُّبَابَا

ولا كرّمتُ إلاّ وَجْهَ حُرٍّ ... يُقَلِّدُ قومه المِنَن الرِّغَابَا

ولم أر مثل جمع المال دَاءً ... ولا مثلَ البخيل به مُصَابَا

وَخذْ لبنيك والأيام ذخراً ... وأعطِ الله حصته احتسابا

وأن البرخير في حياة ... وأبقى بعد صاحبه ثوابا [1]

ثم يقول :

عجبتُ لمعشر صلوا وصاموا ... ظَوَاهِرَ، خشيةً وتقًى كِذَابا

وتلفيهم حيالَ المال صُمّاً ... إذا داعي الزكاة بهم أهَابا

لقد كتموا نصيبَ اللهِ منه ... كأن الله لم يحصِ النصابا [2]

إلى أن يقول :

وما نيلُ المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غِلَابَا

---

(1) الشوقيات . جـ ١ . ص ٦٣ ، ٦٤

(2) نفسه . ص ٦٤

وما استعصى على قومٍ منَالٌ   إذا الإقدام كان لهم رِكَابَا[1]

فهو يدعو إلى الأخلاق وإلى نبذ حطام الدنيا ، ويشبه الدنيا بأفعى لا تستقر على حال ، فهي تبدل جلدها وحالها على الدوام ويدعو الناس إلى فعل الخير ، لأن الحياة لن تبقى على حالها . يقول :

فمن يغتر بالدنيا فإني   لَبِسْتُ بها فأبليتُ الثيابا

لها ضِحْكُ القيان إلى غبيٍّ   ولي ضِحْكُ اللبيب إذا تغَابَى

جنيتُ بروضها وردًا وشوكًا   وَذُقْتُ بكأسها شُهْدًا وصابا

فلم أر غير حكم اللهِ حكماً   ولم أر دون بابِ اللّهِ بَابَا[2]

والقصيدة وإن كانت في مدح الرسول إلا أنها تتخذ من كل القيم الإسلامية مسرحاً لها ، وتصوغها صياغة رائعة حقاً ونجده في قصيدته " الهمزيّة النبويّة" يتحدث عن قيم أخلاقية كثيرة وهو يمدح الرسول صلىّ الله عليه وسلم : يقول :

بك يا ابن عبد اللهِ قامت سَمْحَةٌ   بالحقِّ من مِلَلِ الهُدَى غَرَّاءُ

بنيتْ على التوحيد ، وهي حقيقة   نادى بها سُقْرَاطُ والقدماءُ[3]

إلى أن يقول :

---

[1] نفسه ص ٦٦

[2] نفسه ص ٦٤

[3] نفسه ص ٣٥

فرسمت بَعْدَكَ للعباد حكومةً ... لا سوقةٌ فيها ولا أمَرَاءُ

الله فوق الخلق فيها وحده ... والناس تحت لوائها أكفاء

والدينُ يُسْرٌ والخلافةُ بَيْعَةٌ ... والأمر شورى والحقوقُ قضاءُ

الاشتراكيون أنت إمامهم ... لولا دعاوى القوم والغُلَواءُ

دَاوَيْتَ متئدًا وداووا طَفْرةً ... وأخف من بعض الدواءِ الدَّاءُ

والحرب في حق لديك شريعةٌ ... ومن السموم الناقعات دَوَاءُ

أنصفت أهل الفقر من اهل الغنى ... فالكل في حق الحياة سَوَاءُ [1]

ويتحدث عن المساواة في الدولة الإسلاميّة وأن الإسلام لا يفرق بين الأمراء والعامة من الناس . كما يتحدث عن بساطة الدين الإسلامى وعن الشورى التى يجعلها أساساً للحكم ويشير إلى الاشتراكية ، وان الرسول عليه السلام هو إمام الاشتراكيين ، لكن اشتراكية الإسلام معتدلة بعيدة عن التطرف الذي يَسِمُ الاشتراكية الماركسية .

وكيف أن الإسلام عالج مشاكل الفقراء بتؤده وتدرج أما المذاهب الحديثة فعالجت مشاكلهم طفرة ثم يقول : إن الداء أخف من بعض الأدوية أثراً وضررا . ويبين أن مشروعية الحرب في الإسلام تقوم على استرداد الحقوق ، وأنه انصف

---

[1] نفسه ص ٣٦

الفقراء من الأغنياء حيث طالب الأغنياء بإخراج زكاة أموالهم والتصدق على المحتاجين .

ولحافظ إبراهيم شاعر النيل قصيدة طويلة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه نكتفي بالأبيات التالية منها :

وَرَاعَ صَاحِبَ كسرى أن رأى عُمَرًا	بين الرعيّة عُطْلاً وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها	سورًا من الجند والأحراس يحميها
رآه مستغرقاً في نومه فرأى	فيه الجلالةَ في أسمى معانيها
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملاً	ببردة كاد طول العهد يبليها
فَهانَ في عَيْنِهِ ما كان يُكْبِرُهُ	من الأكاسِرِ والدنيا بأيديها
وقال قَوْلَةَ حق أصبحت مثلا	وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمِنْتَ لمّا أَقَمْتَ العدل بينهمُ	فنمت نوم قرير العين هانيها[1]

وهو يتناول حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جوانب مختلفة ولكنه هنا يتناول سيرته كحاكم عادل ، زاهد في الدنيا ينام على الأرض تحت ظل شجرة ، دون حراسة ، ودون خوف من الاغتيال أو العدوان ، يعبر وجهه عن الجلالة والعظمة ، وهي عظمة نابعة من إيمانه بالله وتقواه وعدالته ، وأنّه لما

---

[1] ديوان حافظ إبراهيم . جـ ١ . ص . ٩ .

طبق العدل ورعى المسلمين رعاية صحيحة نام قرير العين سعيداً ، لأن هذا كان

أسمى ما يتمناه .

المراجع والمصادر

البديعى . الصبح المبنى . تحقيق مصطفى السقا وآخـــرين . دار المعارف .القاهرة، ١٩٦٨ .

البغدادى . الفـــرق بيـــن الفـــرق . دار الجيـــــــل . بيـــروت . لبنــــــان ١٩٨٧.

ابراهيم عبد الرحمن محمد . قضايا الشعر في النقد العربي .جـــ ١ .مكتبة الشباب. القاهرة ، ١٩٧٧ .

ابن الأنبارى . شرح القصائد السبع الطوال الجاهليــات . تحقيــق عبد السلام محمد هارون . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٩ .

ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة . ط٦ . مصورة عـــن طبعـــة دار الكتب المصـــرية . طبعـــة وزارة الثقافـــة والإرشاد القومى . القاهرة .

ابـــن خلـــدون . المقدمـــــــة . ط٤ . دار العلـــــم . بيـــروت . لبنـــــــان ١٩٨١ .

ابـــن رشيـــق . العمـــــدة . ط٥ . دار الجيـــــل . بيـــروت . لبنـــــــان ١٩٨١ .

ابـــن ســـلام . طبقـــات فحول الشعراء . ط١ مطبعة المـــدنى . القاهـــرة ، د. ت

ابن سناء الملك . ديوانه .ط٢ . تحقيق محمد ابراهيم نصـــر . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ،١٩٦٩ .

ابـن عبد ربّه . العقـد الفريـد . ط١ . دار الكتـب العلميـة .

بيروت . لبنان د.ت

العقـد الفريـــد . ط٢ دار الكتـب العلميـة .

بيروت . لبنان د.ت

العقـد الفريـــد . ط٣ دار الكتـب العلميـة .

بيروت . لبنان د.ت

العقـد الفريـــد . ط٤ دار الكتـب العلميـة .

بيروت . لبنان د.ت

ابن قتيبة . الشعر والشعراء .ط١. تحقيق أحمد محمد شاكر . دار

المعارف. القاهرة ، ١٩٦٦.

ابن منظور . لســـان العرب . طبعـــة دار المعـــارف .

مـــادة السوس..

لســـان العرب طبعـــة . دار المعـــارف .

مـــادة وجد .

أبو الطيب المتنبى . الديوان . شـــرح العكبـــرى . دار الفكـــر .

بيروت . لبنان د.ت

الديوان .جـ٢. شـــرح العكبـــرى. دارالفكـــر.

بيروت .لبنان د.ت

الديوان .جـ٣. شرح العكبـــرى .دارالفكـــر .

بيروت. لبنان د.ت

الديوان .جـ٤. شرح العكبـــرى . دارالفكـــر.

بيروت .لبنان د.ت

أبو على القالى . ذيل الأمالى والنوادر .الأمالى .جـ٢. دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . د.ت .

أبو الفرج الأصبهانى .الأغانى . جـ٨ . تحقيق ابراهيم الإبيارى . دار الشعب . القاهرة . ١٩٦٩ .

أحمد بهاء الدين . أيام لها تاريخ . جـ١ .كتاب روز اليوسف . القاهرة ،١٩٥٤ .

أحمد شوقي . الشوقيات . جـ١ . دار الكتب العلمية . بيروت. لبنان .د.ت

الشوقيات . جـ٢ . دار الكتب العلمية . بيروت. لبنان .د.ت

الشوقيات . جـ٤ . دار الكتب العلمية . بيروت. لبنان .د.ت

إميليو غارسيه غرس . مع شعراء الأندلس والمتنبى .ترجمة الدكتورالطاهر أحمد مكى . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧٨ .

حافظ ابراهيم . الديوان . جـ١ . الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ، ١٩٨٠.

الديوان . جـ٢ . الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ، ١٩٨٠.

جان لسيرف . مجلة المورد العراقية . المغزى التاريخى للعروبة في شعر المتنبى عدد ٣ . مجلد٦ ، ١٩٧٧ .

شوقي ضيف . فصول في الشعر ونقده . ط٢ . دار المعارف .
القاهرة ،١٩٧٧
عصر الدول والإمارات (مصر والشام).
دار المعارف.القاهرة ، ١٩٨٤
التطور والتجديد في الشعر الأموى.ط٥. دار
المعارف .القاهرة ،١٩٧٢
شوقي شاعر العصر الحديث . ط١١ .دار المعارف
. القاهرة ، ١٩٨٦
صلاح عبد الصبور . الأعمال الكاملة . ط٦. دار الشروق
.بيروت . لبنان ١٩٨٦
طه حسين . في الشعر الجاهلي . مطبعة دار الكتب المصريّة
.القاهرة ،١٩٢٦
حديث الأربعاء . جـ١ . ط١٣. دار المعارف .
القاهرة ، ١٩٧٦
مع المتنبي . ط١١ . دار المعارف .
القاهرة ، ١٩٧٦
حديث الأربعاء . جـ٣. ط١٠ . دار المعارف .
القاهرة ،١٩٧٦
تجديد ذكرى أبى العلاء . ط٨ . دار المعارف .
القاهرة ،١٩٧٦
عباس محمود العقاد و عبد القادر المازنى.الديوان .مطبعة الشعب
.القاهرة . د.ت

عباس محمود العقاد . شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي
نهضة مصر. القاهرة . ١٩٦٣ .

عبد الحميد سند الجندى .حافظ ابراهيم شاعر النيل.دار المعارف
القاهرة ،١٩٦٨.

عبد القادر القط . مفهوم الشعر عند العرب ، ترجمة دكتور عبد
الحميد القط . القاهرة ، ١٩٨٢

في الشعر الإسلامي والأموى . دار النهضة العربية
للطباعة والنشر بيروت . لبنان ، ١٩٧٦

الاتجاه الوجدانى في الشعر العربي المعاصر . دار
النهضة العربة بيروت . لبنان ،١٩٧٨

عبد الوهاب عزام . ذكرى أبى الطيب بعد الف عام .ط٣ .
دارالمعارف .القاهرة ١٩٦٨

عروة بن الورد . الديوان . دارصادر . بيروت .
لبنان .د.ت

عماد محمد ابراهيم . ملاحم كامل أمين . رسالة ماجستير
محطوطة . جامعة المنصورة ، ٢٠٠٦

عنتر بن شداد . الديوان . دار بيروت للطباعة .
لبنان ، ١٩٧٨

قيس بن الملوح . الديوان .تحقيق عبد الستار فراج .مكتبة
مصر .القاهرة ،١٩٧٩.

كارل بروكلمـــان . تـــاريخ الأدب العربـــي . جــــ١ .ط٣ .دار المعارف .القاهرة ١٩٧٤

تاريخ الأدب العربي ، ترجمة دكتور عبد الحليم النجار . ط٢. دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٨

تاريخ الأدب العربي . جــ٥ .دار المعـــارف . القاهرة ، ١٩٧٥

كـــارل نلينو . تـــاريخ الآداب العربيّة . ط٢ . دار المعـــــارف . القاهرة ١٩٧٠

المبرد . الكامل في اللغة والأدب. جــــ١. مؤسســـة المعـــارف. بيروت. لبنان ١٩٨٥

محمد ابراهيم نصر . ابن سناء الملك حياته وشـــعره . ط١، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القـــاهرة ، ١٩٦٨

محمد زغلول سلام . الأدب في العصر المملوكى . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧١

محمد مصطفي هدارة . الشعر العربي من الجاهلية حتـــى نهايـــة القرن الأول الهجرى . دار المعارف . القـــاهرة ١٩٨١،

محمد مندور . النقـــد المنهجـــى عند العـــرب . نهضة مصـــر . القاهرة ، ١٩٩٦

محمود شـــاكر . المتنبـــــى . جــــ١ .مطبعــــــة الـــمدنـــــى. القـــــاهـــرة . ١٩٧٦

محمود فهمی حجازی وآخرون . العربيّة : نصوص ودراســـات . القاهرة ، ١٩٧٩

محمود مصطفى . الأدب العربي في مصر . دار الكاتب العربـــي للطباعة والنشر . القاهرة ، ١٩٧٩

ناصر الدين الأســد . مصــادر الشــعر الجــاهلى . ط٦ ز دار المعارف ز القاهرة ، ١٩٨٢

نجيب محمد البهبيتى . تاريخ الشعر العربي حتى أواخــر القــرن الثالث الهجرى . دار الثقافة . الدار البيضـــاء . المغرب ، ١٩٨٢

يوسف خليف . الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلى .ط٤ . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٨٦

الفهرس